عبد البديع صقر

كيف ندعو الناس

محاولة لتعليم طرائق الدّعوة
وصنعة عرضها على الناس

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة العاشرة

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

كنت وضعت ملاحظات للأخوة وعزمت على العودة إليها لتكميلها وتنقيحها ونشرها ، وقد طالعت هذه الرسالة للأخ « عبد البديع صقر » فرأيت فيها ما كفى وأغنى ، فسررت وفرحت وسألت الله له دوام التوفيق ، وأن يحسن عن الدعوة مثوبته .

وأوصى الأخوة بدراسة هذه الملاحظات الحية المشرقة بنور إيمان كاتبها دراسة عميقة مثمرة ، وأن يأخذوا بها ويسيروا على ضوئها .

حسن البنا

المرشد العام للإخوان المسلمين

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تصدير

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه .

صدرت هذه الرسالة في طبعتها الأولى سنة ١٩٤٠ - أى قبل أربعين عاماً - ثم أعيد طبعها بمعرفة ناشرين متطوعين فى كل من سورية والعراق والأردن ومصر والسودان .

وقد عزمنا على إعادة نشرها مع شيء من التوسع والتنقيح على ضوء ما أفدناه من تجربة السنين بحيث تكون صغيرة الحجم ، سهلة التناول .

وقد روعى فيها تجنب الإكثار من إيراد الاستشهادات . فليس البحث تحقيقاً علمياً وإنما هو خطة إرشاد وكان هدفنا الحرص على الإيجاز ، فأثبتنا الكلمة المطلوبة لذاتها فقط مع مجانبة أى تعقيد فى اللفظ أو تكلف فى المعانى فهو حديث النفس للنفس لكى يفيد منه العامة والمثقفون على السواء . ونسأل الله أن ينفع بها وألا يحرمنا أجرها ...

القاهرة فى : رمضان سنة ١٤٠٣ هـ (يوليو سنة ١٩٨٣ م) .

عبد البديع صقر

* * *

منهَج البَحث

- لماذا ندعو ؟
- أثر الدعاة .
- متى يتحقق المنهاج ؟
- مفتاح التحويل .
- مفكرة الدعاة .

لماذا ندعو ؟

لا بد لمن يريد أن يتفهم هذه الرسالة من أن يتأنى فى تناولها حتى يرتبط قلبه بقلوب إخوانه الدعاة فى كل مكان ، فيكون الكلام عنده مما يتحول فى النفس إلى عمل .

ولا ريب أن الكلام ليس غاية فى ذاته فنحن - كسائر الناس - نكره كثرته ، ونحس بشعور هذا الشعب الذى طالت عليه تجارب الكلام فسئمها ، ونود لو خطونا فى خدمة الأمة إلى مرحلة من منطق الأعمال إلا أنه من ضروريات التوجيه أن يوجد التفاهم - الذى هو أساس التعارف - بين البشر فما من نبى ، ولا صاحب فكر جديد إلا بدأ بالدعوة - الكلامية أو الكتابية - حتى استقامت له بعض الأفهام .. فاختار أتباعه ثم ركز جهودهم للغاية التى يقصدها ... هذا أمر أول .

وأمر ثان ...

هو أن الثقافة الضارة التى سادت العقول - وأكثرها من معسكرات عدوة لنا- لا بد من مهاجمتها وتصحيحها فلا يجوز أن نظل فى موقف المدافع عن عقيدته ووطنه وتراثه ؟

قال اللّه تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (١) .

---

(١) الأنبياء : ١٨

ولقد كان من آثار الثقافة الأجنبية ما يلى :

١ - اليأس من النهوض .. وبخاصة فى الدين .

٢ - الغرور والغفلة والانصراف عن الله عز وجل .

٣ - الانغماس فى الترف والمعصية والافتتان بالأقوى والتشبه به .

٤ - الانقسام والتطاحن على مطامع الدنيا .. الأمر الذى زادنا ضعفاً وتفرقة ...

وأمر ثالث ...

هو أن الدعاة للإسلام مقلدون لا مبتكرون .

فهم يتعبدون بالدعوة على أنها جزء من الواجبات التى كُلّف بها المسلم للظفر بثواب الآخرة قبل الظفر بثواب الدنيا .. ومن أجل ذلك يهون عليهم كل صعب ، وتحبب إليهم كل تضحية ، ويقرب لهم كل بعيد .

لهذا كان لا بد من الجهر بالدعوة .. لإصلاح ما اعوجّ .. وتبيين ما خفى .. وتجديد ما درس .. وبعث الأمة فكرياً من جديد ...

* * *

أثر الدعاة

ومما يؤسف له أن دعاة الإسلام - منذ أجيال - لم يكن لهم الأثر الكافى فى تغيير الأعراف الخاطئة ، وإحداث النهضة المرجوة لإعادة مجد الدين والإفاضة على الناس مما فيه من خير وبركة .. وربما كان هذا راجعاً للأسباب الآتية :

١- ضياع السلطة الزمنية :

فما يملك الدعاة إلا القول أو الكتابة .. ولو امتدت همتهم إلى التربية مثلاً ، فإنما يكون ذلك فى حدود ضئيلة - إما لقلة الموارد . وإما لفقدان التأييد ، وإما بسبب الانحصار فى دائرة لم يرسمها المسلمون ، بل رسمها أعداؤهم ، وقد علمنا أن واعظ الناس كان هو سيدهم أو قاضيهم ، تحتضنه الدولة وتحميه السلطة . أما اليوم فلعله يرى نفسه سعيد الحظ لو سلم من محنة السلطة . وهو فى دار الإسلام .

٢ - قلة الإنصاف :

فعندما طغت الموجات المادية ، واتجه الناس إلى دنياهم متكالبين عليها ، نسوا حق العلماء ، فساءت حالتهم . وهان أكثرهم على نفسه وعلى غيره ، ووقع الاستخفاف بهم فى الجد والهزل .. وحتى فى الروايات والتمثيليات ، وصاروا إلى حالة قلما يملكون بها التأثير فى الجماهير ، أضف إلى ذلك أن من وسائل بعض السلطات أحياناً أن تبتلى العلماء بالفقر والقهر للتخلص من معارضتهم ، وكانت الشعوب قديماً تدافع عنهم فأصبحت لا تعبأ بهم شيئاً .

٣ - أخطاء الدعاة أنفسهم :

ومن الحق أن نقرر أن كثيراً من الدعاة لا يزال سائراً على الأساليب العتيقة المنفرة للسامعين .. مع سطحية فى التفكير وجمود على طرائق مملة لم يعد يحتملها أهل هذا الجيل المتمرد المستعجل أو المثقف .

وفى نفس الوقت امتلأت المجتمعات بوسائل مغرية للتسلية واللّهو المُحرَّم أو المباح وتفنن أصحاب الملاهى فى تزيينها وتسهيل تناولها بإمكانيات هائلة وجهود جبارة .. فأقفر سوق العلماء وتحوّل عنهم الأتباع إلى تلك الوسائل والمغريات .

ومع ذلك ..

فلا نزال نرى ونسمع عن بعض الدعاة الذين صادفهم التوفيق فأحدثوا أثراً كبيراً فى شعوبهم وتغييراً ملحوظاً فى أزمانهم .. ولكنها مواهب نادرة وومضات خاطفة سرعان ما تختفى - وصدق رسول اللّه ﷺ إذ يقول : « لا تزال طائفة من أُمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم مَن خالفهم ، حتى يأتى أمر اللّه » .

ولا يعنى ذلك أننا ننكر صلاح الصالحين .. أو نتجاهل جهود أُولئك الموّحدين العابدين والعلماء العاملين في مجالاتهم جزاهم اللّه خيراً .

وإنما المقصود أن ينشأ جيل من دعاة الإسلام يسيرون على مبادىء علمية ثابتة لا هم لهم إلا نشر الدعوة الصحيحة ابتغاء وجه الله تعالى ، ليرتفع بهم شأن الدين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .

إذن فهذه الملاحظات ليس المقصود منها توضيح معالم الدين - فالبحوث فى هذا المجال وفيرة بحمد الله - وإنما المقصود منها مساعدة الدعاة على القيام بواجبهم بأيسر الجهود وأفضل النتائج - وبالله التوفيق .

* * *

متى يتحقق المنهاج ؟

إن المنهاج الإلٰهى الذى يمثله الإسلام فى صورته النهائية كما جاء به محمد ﷺ لا يتحقق فى الأرض وفى دنيا الناس بمجرد تنزله من عند الله ، ولا بمجرد ابلاغه وبيانه للناس ، ولا يتحقق بالقهر الإلٰهى على نحو ما يمضى أمره فى الفلك وسير الكواكب .

إنما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر ..

تؤمن به إيماناً كاملاً وتستقيم عليه بقدر طاقتها .

وتجتهد لتحقيقه فى قلوب الآخرين وفى حياتهم كذلك مصداق قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ [1] .

ثم تجاهد لهذه الغاية بكل ما تملك ..

تجاهد الضعف البشرى والهوى البشرى فى داخل النفوس .

وتجاهد أُولئك الذين يدفعهم الضعف والهوى للوقوف فى وجه هذا الهدى .

---

(١) آل عمران : ١٠٤

وتعمل على تحقيق هذا المنهج بالحد الذى تطيقه فطرة البشر ، والذى يهيئه لهم واقعهم المادى على أن تبدأ بهم من النقطة التى هم فيها فعلاً ، ولا تغفل واقعهم ومقتضياته فى سير هذا المنهج وفى تتابعه .

وقد تنتصر هذه الجماعة على نفسها وعلى نفوس الناس معها تارة .

وتنهزم فى المعركة مع نفسها أو مع نفوس الناس تارة أخرى ، بقدر ما تبذل من الجهد وبقدر ما تتخذ مع الوسائل المناسبة للزمان ، وبقدر ما تترجم المنهج ترجمة عملية فى واقعها وسلوكها الذاتى .

إذن .. فهى عملية فن وحكمة .

وهى مسألة جهاد وتضحية .

وهى جهد جماعى وليس فردياً .

* * *

مفتاح التحويل

يقول بعض الحكماء : « ليست المشكلة فى وصف الواقع وحسن تصويره .. ولكن البراعة فى تغييره إلى أفضل » ... نحن ندعو لحركة تغيير عاقلة ولكنها قوية . تحث الناس على تغيير أنفسهم من داخلها ، عن طريق نقدها ومحاسبتها وجهادها المستمر فالأساس إذن .. هو تغيير النفس الإنسانية .. وعن طريقها تتم حركة تغيير المجتمعات .. ومن ثَمَّ يتغير مجرى التاريخ . وصدق الله إذ يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (١) .

إن المسلم لا يكتفى بأن يعرف الحق .. ولا يكتفى بالوقوف إلى جانب الحق وإثبات الولاء له .. كما يفعل بعض الانطوائيين وغلاة الصوفية – ولكنه مطالَب دائماً بأن يعمل على إقناع الناس به وضمهم إليه .

---

(١) الرعد : ١١

ووسيلته فى ذلك ، الحكمة .. والصدر الرحب ، والفكر المستنير ، والتسامح مع الآخرين - دون قهر ولا إجبار .

وتلك أحسن الأساليب مناسبة للفطرة البشرية وتجاوباً معها ..

لقد بقى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً فى مكة يعالج تلك النفوس الملتوية، فى صبر وتدرج ، دون تعجل للنتائج ، وبقى نوح عليه السلام يدعو ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وبرغم منزلة إبراهيم عليه السلام وجهاده المستمر الطويل .. آمن له لوط ، ومات بعض الأنبياء دون أن يحقق شيئاً ملحوظاً .. فلم ينقص ذلك من قدره شيئاً .. لأنه بذل ما فى وسعه . عالماً أن الأمر كله لله .

أيها الداعية ..

اجتهد فى تصحيح النية قبل أن تبدأ عملاً ، ثم اجعل شعارك العمل الدائب ، مع الصبر الجميل ، واجعل هدفك فى التحويل النفس الإنسانية وما أصعبها من رسالة - لكنها خير ما فى الوجود من أعمال . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

* * *

(١) فصلت : ٣٣

مُفكرَة الدعَاة

- إن أسلوب التحدى ولو بالحجة الدامغة ، يبغض صاحبه للآخرين ، فيجب التلطف لأن كسب القلوب أولى من كسب المواقف .

- إذا كان لك هدف ترجو الوصول إليه – فاختر له أقرب الطرق وأرجاها .. فرُبَّ كلمة يُغنى عنها سواها .

- فى كل مجتمع توجد موازين قُوَى ، لا بد أن يُحسب حسابها .. لصالح الدعوة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « أنزلوا الناس منازلهم » .

- ليس العتاب المباشر ولا النقد المر هو السبيل لتعليم الجاهلين .. إنما يجب التعريف بالقواعد الأساسية والاطمئنان إلى أن التوجيه سيصيب محلاً مقبولاً .

- إياك وتبديد الطاقة الإنسانية :

بمعالجة الأمور التافهة .

أو بالجدل الذى لا يفيد .

أو بالجمود على شىء معين والاعتماد على النقول الصيغية .

أو بالخروج عن الموضع والإملال وإلا ضاق الناس بك ذرعاً .

- من سنة الله تعالى أن الحياة للمبصرين لا للجاهلين .

- إن الذين يملكون المال ويقدرون على الإصلاح ، قلما يحضرون لدروس الوعظ وقلما يعمرون المساجد . فيلزم الاحتيال للاتصال بهم .

- الحركة من ألزم واجبات الدعاة ، فلا تلوموا الذين لم يحضروا إليكم .. ولكن لوموا أنفسكم إذ لم تتصلوا أنتم بهم .

- السكر أنواع .. وشرها سكر الهوى .. والغرور .

● إن الرقاع فى ثوب عمر لم تنقص قدره ، وإن الحرير فى ثوب رستم لم يمنعه من الهزيمة .. ولم يمنع كسرى من التشرد فى الأرض .

● يخطىء الداعية حين يظن أنه بإلقاء خطبة أو بإعلان رأى قد نقل الناس من جهة إلى أخرى .. إنما تتم الاستجابة بعوامل شتَّى .. منها المودَّة .. والوقت .. والحاجة الشخصية .. ومن قبل ذلك توفيق اللّه سبحانه وتعالى .

● ليس المهم صلاحية جهاز الإرسال .. إنما المهم إصلاح جهاز الاستقبال .

● قد يتخلى عنك الرأى العام ، وهو يعلم أنك صاحب الحق كما حدث ليوسف عليه السلام : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ (١) .

● افترض فيمن تدعوه أنه ذكى وعالِم . فلا تتورط فيما يؤخذ عليك .. ولا تضايق غيرك بالإطناب فى إيراد البدهيات .

● لا تلجأ لاستعراض عيوب الآخرين ولا تلجأ للشكوى باعتبارهما من مواد الخطابة إلا إذا كان ذلك مدخلاً ضرورياً لشرح ما يمكن للسامع أن يقوم به . وليكن خلط القصة بالحديث بمقدار ما تخلط التوابل بالطعام .

● يعتقد الناس عادة أنك أنت الدعوة ، ويصعب عليهم أن يُفَرِّقوا بينكما .. فحاذر من الوقوع فى التناقض .

● الداعية مهندس وبنَّاء فهو ليس ممثلاً يحرص على استدرار إعجاب المشاهدين ، كما أنه ليس فناناً هدفه تقديم التسلية لهم .

● فى المجتمعات الصعبة يجب أن يكون التعامل بمهارة نادرة ، كما يكون التعامل فى بعض الدول بالعملة الصعبة .

● تجنب التزام اللَّون الواحد من جوانب التفكير حتى لا تُشتَهر به فتغفل عما سواه ، فالدين شىء كبير متكامل .

---

(١) يوسف : ٣٥

● تعرَّف على تاريخ الحركات ، فأنت لاتعمل فى فراغ ، واعلم أن الحياة ماضٍ وحاضر ومستقبل .

● لا تتحد الأمر الواقع لا تصطدم بالعلم الثابت .

● رتب الأهميات ، فلا تضح بالأهم لأجل ما هو دونه فى الأهمية .

● ليس كل ما يُعرف يُقال ، ولكل مقام مقال .

● خاطب الناس بما يمكنهم تنفيذه ، أو بما يمكنهم تفاديه . ولا تشطح كثيراً فى الخيال ، وزِنْ ألفاظك جيداً فإنما تُحصَى على الدعاة أيسر الأخطاء .

● إن نجاح القضايا يحتاج لسلامة الشكل وصحة الموضوع معاً ، فقد تعظ إنساناً بقول لا جدال فيه ، فيُسَلِّم لك بالحق من الناحية العقلية ، ولكنه يرفضه ويرفضك من الناحية العاطفية ، لأنك أحرجته أمام غيره مثلاً ، وكان الانفراد به أولى .

● درج الناس على تقدير الشخص باعتبار الوظيفة التى يشغلها ، أو المكانة الاجتماعية التى وصل إليها ... وهذا مقياس قائم ومفروض علينا . ولكنه فى غاية الفساد فقد يشغل المنصب مَن لا يستحقه ويحتل المكانة مَن استعمل للوصول إليها كل سبيل أعوج .. إنما المقياس الصحيح .. هو رقة القلب . وسلامة العقل . وتقوى الله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١) .

● افترض فيمن تحدثه أنه يفكر فى نفسه وفيما يمكن أن يعود عليه .. فقد قال أهل مكة لرسول الله ﷺ : فماذا لنا إن نحن تابعناك على هذا الأمر ؟ فقال : « إن صدقتم الله فلكم الجنة – ولا أملك لكم شيئاً » . واعلم أن بعض الناس فقط يرضيه مثل هذا الجواب الكريم .

* * *

(١) الحجرات : ١٣

الفصل الأول

الدعوة الفردية

- تعريفها .
- مميزاتها .
- أثرها .
- آدابها .

● تعريفها :

هى ما كان الخطاب فيها موجهاً إلى شخص واحد أو إلى فئة قليلة من الناس (وليست اجتماعاً بالمعنى المفهوم) . وغالباً ما تقع عن غير ترتيب مسبق . ومثلها لقاءات المصادفة ، وجلسات المجالس ، ومناقشات الزملاء فى العمل ، وحلقات البحث ... ونحوها .

* * *

● مميزاتها :

● أنها كثيرة الحدوث : فقد تتفق للإنسان مرات فى اليوم الواحد .

● وأنها عابرة : لا تحتاج إلى جهد ولا إعداد،. وقد تكون خلال عمل آخر فلا تأخذ وقتاً خاصاً . كالذى يكون فى حفل عزاء أو عيادة مريض أو التهنئة بمولود .

● وأنها يسيرة : ليس فيها التوتر والتحفز الذهنى الذى يكون فى الحفلات العامة ولا المجالات الكلامية المجهَّزة . ويستطيع الداعية أن يكون فيها محرراً من كل قيود النقد .

● وأنها سهلة : يستطيع الإنسان ويستطيع كل مؤمن بدعوته أن يشارك فيها ولو كان أمياً أو من غير أهل هذه الصناعة . بل هى حقل جيد للتدريب واختبار المواهب فكأنها التجربة للميدان الكبير .

● وأنها مستورة : تحمى الداعية من الرياء والسمعة . فكثيراً ما يصاب الخطباء بمرض « الميكروفون » وداء « الصدارة » .

● وأن فيها فرصة للتنفيس : حيث يبدى كل واحد ما عنده من وجهات النظر فكثيراً ما يستمع الإنسان إلى قضية جديدة بالنسبة إليه ، ثم يعرض له سؤال هام ، ولا يجد فى المجال العام مَن يرد عليه . فيبقى مشغولاً به معرضاً عما يتلوه إلى أن يفهم تلك النقطة التى ساورته من قبل .

● وفى الحديث الحر : فإن المرء يستطيع أن يعرض ما عنده من شكوك أو تساؤلات وأن يأخذ ويعطى بحرية كافية . وهذا ولا شك أجدى وأنفع ، فضلاً عن أنه ينشىء الصداقة والمودّة بين الداعية وبين مَن يتصل بهم على هذه الطريقة .

● وفيها دوام الإمكانية : فإنه خلال أحلك العصور التى مرت بالشعوب .. لم تتوقف الدعوة المحدودة بل زادت ونشطت وكأنها التعويض عن الكبت الذى تباشره السلطات أحياناً . لأنها حديث النفس لنفس أخرى تعانى مثل ما تعانى تلك . وهو ما تعجز كل قُوَى الظلم عن السيطرة عليه .

● وفيها من بركات النبوّة : لأن الأنبياء صلوات الله عليهم بدأوا بها ولم يتوقفوا عنها بل كانت من أساليب حياتهم على الدوام .

* * *

● أثرها :

وقد يبدو لأول وهلة أن الدعوة الفردية بطيئة الأثر قليلة الإنتاج ، ولقائل أن يقول إنه فى المجتمعات الوفيرة العدد ، ذات الحاجات الملحة للإصلاح ، لا يتهيأ للملايين أن تصلها الفائدة المأمولة بواسطة الدعوة المحدودة .. هذا حق ، لكنه مع التسليم بضرورة الدعوة العامة - متى تيسرت أسبابها - تظل الدعوة الفردية هى الأساس - فى النجاح للمدى الطويل ، وأن الذين تفاهموا على

المستوى الفردى المطمئن هم دائماً ركائز الدعوات ، وهم الأدوات الفعالة فى كل الحركات الإصلاحية التى ظهرت عبر القرون ومثلهم كمثل الحواريين – أتباع الأنبياء – وكمثل تلاميذ الزعماء المصلحين . وما أشبه الدعوة الفردية بالأساس الذى يقوم عليه البناء مع أنه الجزء المدفون تحت الأرض ومثل الدعوة العامة فى أثرها كمثل البناء ذاته – فلا يستغنى كلاهما عن الآخر .

على أن الدعوة الفردية ليست بطيئة الأثر على كل حال ، فربما كانت فى بعض الظروف أسرع تأثيراً من الدعوة العامة وأسلم عاقبة منها .

* * *

• آدابها :

قلنا إن الدعوة الفردية شديدة الحساسية ، لأن التعارف فيها أدق ، والهروب من معقباتها أشق .

وكثيراً ما يسىء الداعية من حيث يظن أنه أحسن ، فليس كل مَن أُوتِىَ طلاقة اللِّسان أجاد البيان ، ولا كل مَن أجاد البيان نجح فى الإقناع ، ولا كل من نجح فى الإقناع أثمر عملاً نافعاً .

إن تحويل طاقات البشر إلى الاتجاهات الخيِّرة أمر بالغ الصعوبة ، لأن النفوس بفطرتها تنزع إلى الجوانب الأخرى .. والمرء يتأثر بالعاطفة كما يتأثر بالعقل .

ولهذا نوصى – فى هذا الباب – بملاحظة ما يأتى :

١ – الأناة والتلطف :

لأن نفوس الآخرين بالنسبة لنا كالكهوف المجهولة ولا بد من الكشف عن بعض دروبها ، ومعرفة مكنوناتها من خير أو شر .

ولهذا يلزم للداعية أن يتعرف على ما عند الآخرين ، قبل أن يفاجئهم بما لا يعرف أثره .. نعم إن صاحب الدعوة عنده الجديد الغريب على أكثر الناس ، وعنده ما لا يعجبهم ولا يطيقونه ، ولا بد له من الاختلاف معهم أحياناً . ولكن علينا أن نتبين طبيعة الأرض قبل أن نحرث فيها حرثاً أو نبذر فيها بذراً .

فقد يكون ترك بعض الحقول أجدى من العمل فيها – قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ (١) ، وقال أيضاً : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ (٢) .

٢ – توفير الاحترام للآخرين :

يلزم توفير الاحترام للسامعين ولو كانوا على غير رأينا – فإن قضية الرأى تختلف عن قضية الكياسة والمجاملة « واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية » فينبغى أن تسمع من الجانب الآخر بقدر ما تحب أن يسمع منك . وأن تنقد ذاتك فى نفس اللّحظة ، وتتساءل : هل أنت كثير الكلام ؟ عالى الصوت ؟ شديد الحمق ؟ جارح اللّفظ ؟ مستعل بعلم ؟ فإن أحسستَ بشىء من ذلك فعليك أن تعدل من طريقتك فوراً – ولو بالاعتذار – وتعود إنساناً طبيعياً ، حتى لا تثب عليك الشخصية المتربصة من الجانب الآخر وتتحوّل المسألة إلى صراع على غير الموضوع بل على الذوات .. وإذا حصل ذلك فسيتدخل المال والجاه والمركز فى المعركة . وستدخل معكم السيارة والعمارة والإدارة .. ثم الشيطان .

أما إذا التزمت المنهج العادل . وأدب البحث ، وتواضع العلماء ، فقد قطعت الطريق على مقتضيات الخلاف .. ويبقى لصاحبك إما أن ينزل على رأيك أو يفارقك وهو لك شاكر أو عاذر .. بل ربما دعاك بنفسه إلى اللّقاء الثانى .. وذلك هو المطلوب .

٣ – دراسة المحيط :

شاءت إرادة اللّه أن تتوزّع المعرفة على أقطار الأرض وعلى عقول الملايين بأشكال متعددة « وعند كل قوم علم » فما يصلح لقوم لا يصلح لآخرين . ولهذا كان الدين ميسراً وفيه مرونة كافية لكى يلائم الأزمان .. فلا يظن أحد أن الحق له وجه واحد .. كلا ، فالحق واحد ولكن يُرى من وجوه متعددة ، ومن زوايا كثيرة . وكلما اتسع العلم ، كلما زاد الاختلاف بين الناس ، قال تعالى :

(١) الأعلى : ٩
(٢) الأنعام : ٥١

﴿ فَمَا اخْتَلَفُواْ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ [1] .. نعم إن العلم يحل إشكالات تتعلق بالجهل ومع ذلك فهو يوجد إشكالات تتصل بالعلم نفسه . لذلك كان لزاماً على الداعية أن يمارس هذا الفن باستمرار وأن يداوم الاتصال بالناس والأفكار . التماساً للمعرفة من كل باب محتمل . وإذا وُضِعَ فى بيئة جديدة فعليه أن يصبر فترة سكون . تطول أو تقصر ، حتى يتبين معالم تلك البيئة ، ويعرف مفاتيح التحويل فيها .. وإلا أُصيب بصدمات شديدة ، تعود بالضرر عليه أو على دعوته .

٤ - الانشغال بالمهم :

إن للفكر الإنسانى أبواباً أساسية يمكن أن تختصر الطريق وتوفر الوقت .. فإذا عرف الداعية مفاتيح البحث الأصلية يمكنه أن يفيد ويستفيد .. فمثلاً تريد أن تتحدث فى الإسلام وأساس التفكير فى هذا الموضوع هو الإيمان بالله وبالغيب والتصديق بالمنقول ثم الادراك بالمعقول . فإن كان المخاطَب لا يؤمن أساساً بهذا كله ، فيلزم ترك المناقشة - والدخول إلى الموضوع من باب آخر . وكذلك الحال فى شخص يؤمن بزعيم يحبه أكثر من إيمانه بالحق أو بالمصلحة العامة . فيلزمنا إذا اتضح لنا ذلك - أن نختصر معه الحديث ، حتى تتهيأ فرصة أنسب لاستدراجه إلى ما تريد - دون البدء بهدم صنمه - ومتى استطعت أن تذوقه جمال الحق ولو مع إقامته على الولاء لزعيمه فقد وجدت مفتاحاً إلى قلبه تستطيع بالحكمة والصبر أن تزرع فيه حقك وتنزع منه باطله .

٥ - الاعتراف بالحق :

من أدب الدعوة كذلك أن يتمتع الداعية بروح سمحة - أو رياضية كما يقولون - فلا يجوز أن يبت الداعية سلفاً أن كلمته هى العليا وأن المخالف له كافر أو آثم أو جاهل .. كلا .. إنما الحقيقة بنت البحث - وكثيراً ما يحدث أن يأنس الداعية فى موقفه ضعفاً - فيلزمه حينئذ ألا يكابر . بل يتحين فرصة أخرى لاستكمال البحث . وهذا نور يقذفه الله فى قلب مَن شاء من عباده .

ولا بد من التفريق بين الفقه وبين الشريعة .

---

(١) الجاثية : ١٧

فالشريعة هى الحق الأصيل الذى لا شك فى صحته ، أما الفقه فهو ما فقهناه من هذه الشريعة ، وطريقة عرضنا له على الناس ، أو طريقة قضائنا بأحكامه وهو اجتهاد يحتمل - الحق والخطأ .. ويكون جميلاً ومشرفاً للداعية أن يقبل الهزيمة ، أو يتظاهر بذلك . ثم يؤجل البحث حتى يستكمل ما خفى عنه وحتى يتبين وجه الحجة فيه ، فالداعية يأخذ كما يعطى ، وليس الداعية قدراً مسلطاً على المخلوقات .

٦ - نتعاون فيما اتفقنا عليه :

ومن الحكمة أن يحاول الداعية أن يجنى ثمرة المناقشة إذا وصل إلى درجة من النجاح فإنما التفاهم وسيلة لشىء آخر - هو العمل .. وليس هدفاً فى ذاته .. فمن الممكن والحكمة أن تعمل على إنشاء صلة أو قرابة فكرية بينك وبين المخاطَبين .. تصلح أن تكون أساساً للتعاون المقبل .. فمثلاً .. أنت تراه يفكر على أساس قومى بينما أنت تفكر على أساس دينى .

ولكنكما جميعاً فى حاجة إلى التخلص من عدو واحد ، هو الذى طغى علينا بوسائله الفكرية والمادية . وأن عملية التخلص من ذلك العدو هى فى الواقع أثقل من مسألة الخلاف فى الفروع فما الذى يمنع من الاتفاق على التعاون فى هذا النطاق ؟ ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴾ (١) .

٧ - ترك الحرص :

قد يكسب المتكلم موقفاً خطابياً أو سياسياً يتحدث به إلى الناس . لكنه فى سبيل حرصه على هذا الربح قد يحدث جرحاً خفيفاً أو عميقاً فى مشاعر الآخرين ، فلا تلبث هذه المكاسب أن تتحوّل إلى خسائر . وليس أولى بالرعاية من قلوب الناس التى لو صلحت صلح الجسد كله . وخير ما يؤثر فيها هو شعور الحب والإيثار ، فلا ينبغى للدعاة أن ينفروا المستمعين بما يثقل عليهم .. ولا يكثروا عليهم المجادلة ويلزموهم التسليم - كما لا ينبغى للدعاة أن ينشغلوا بالحرص على نتيجة ما .. فالدعوة لله ، والله غنى عن العالمين .

---

(١) الإسراء : ٨٤

أنت لا تفتح حواراً مع إنسان إلا إذا توقعت أنه ربما يقتنع برأيك - وهو لا يدخل معك فى حوار أيضاً إلا على مثل ذلك - ولكن إذا ثبت أن أحدكما لا يقبل التحول عن رأيه ولا يقتنع بالحق إن جاءه - فما فائدة الحوار ؟ ولو قفل باب التفاهم بين الناس لا يبقى إلا الحرب ، ولو سمح القرشيون لأنفسهم ولأتباعهم بتفهم الإسلام أول الأمر ما حاربهم رسول الله ﷺ ، وكما قال الله لنبيه عليه السلام : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ﴾ (١) ..

* * *

بين البحث العلمي والجدل

وينبغي أن يميز الداعية بين ما هو بحث علمي وبين ما هو جدل ومراء مذموم .

فالبحث العلمي : هو الذى تتوفر فيه روح الوصول للحقيقة بحيث يكون كل طرف فى موقف الحياد من القضية المطروحة - وأن يكون حرص الجميع مركزاً على إظهار الحق لوجه الله لا تشم فيه رائحة الذاتية ولا المصلحية ولا التقيد بفكرة مسبقة مع محاولة الدفاع عنها .

ويتوفر فيه معنى التعادل - بحيث لا يكون أحد الطرفين سيداً للآخر ولا قاهراً له بفضل أو سلطان أو سواه ، فقلما يُتصور وجود التعالى بين جندى فى الجيش وبين القائد العام مثلاً - أو بين خدم المنازل وأصحابها .

وتتوفر فيه أسباب استكمال مادة البحث - لكلا الجانبين على السواء - فقد يحرم أحدهما من الحصول على المراجع أو المستندات لسبب أو لآخر وبذلك ترجح كفة مَن يملك الدليل - رجحاناً ظالماً للسبب المتقدم .

أما الجدل : فهو الحوار الذى يقوم على غير أساس واضح أو على غير تكافؤ ظاهر - تبرز فيه الأنانية وترتفع فيه الأصوات وتبدو فيه الخصومة - وقد نهى عنه رسول الله ﷺ فى مواطن كثيرة منها قوله : « أنا كفيل ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقاً » .

وإذا كان من أهداف الدعاة ربط الناس على المحبة فالجدل يقضى على المحبة ويزرع البغضاء .

* * *

---

(١) الحج : ٣٩

الفصل الثانى

الدعوة العَامَّة

- تعريفها وأهميتها .
- الخطبة التعبدية .
- الخطبة التأثيرية .
- المحاضرة .
- الندوة .

• تعريفها وأهميتها :

هى ما كان الخطاب فيها موجهاً إلى جماعة من الناس بقصد التأثير فيهم ، والخطابة فن قديم نشأ منذ بدء الخليقة .. فالكلمة المسموعة أقوى أثراً من الكلمة المقروءة لأن الأولى تنبض بالحياة والانفعال .

ويعتبر الأنبياء والمرسلون « دعاة عامين » .. لأنهم واجهوا بدعواتهم الجماهير المتباينة المشارب والأهواء .. وتحملوا نتائج الدعوة ، فمنهم من اضطهد ، ومنهم من قُتِل ، ولكنهم جميعاً قد أحرزوا نجاحاً .. بدليل تلك الآثار التى تركوها فى الأُمم والشعوب عبر القرون .

والحكماء والمجددون دعاة عامون أيضاً .. لأنهم قاموا بنقل أفكارهم بصورة جماعية إلى الجماهير .. فمنهم من اضطهد حتى الموت ومنهم من لقى احتراماً فى حياته .. ولكن أفكارهم جميعاً عاشت بعدهم حتى وصلت إلينا .

أما العلم الذى اقتصر على إيداعه بطون الأوراق فقد فنى أكثره بفنائها ، وبقى جانب منه لكنه من ناحية التأثير لا يبلغ مبلغ الكلمة المسموعة على كل حال .

وتنتقل الأفكار الجديدة بطريق التكاثر فى متواليات عجيبة ..

فلو أن مائة إنسان سمعوا رأياً فنقله كل منهم إلى خمسة آخرين - لوصل الخبر إلى خمسمائة فى المرحلة الأولى ، ولو نقله كل واحد من هؤلاء إلى خمسة آخرين لصاروا ألفين وخمسمائة فى المرحلة الثانية .. فما ظنك بمقدار انتشاره بعد مائة عام مثلاً ؟ إن معظم سكان الأرض اليوم تتقاسمهم ديانات ومبادىء لا تزيد على عشرة .

هذا - ولا بد أن يكون الداعية موقناً بفكرته التى يدعو إليها ، ممتلىء النفس والعقل بها ، عارفاً بحدودها وصحتها وصلاحيتها ، حريصاً على أن يشغل الآخرين بها . وهنا يكمن السر فى أنك تسمع خطباء فتتأثر بهم ، وتسمع آخرين فتتنساهم فوراً فلا تُقيم لكلامهم فى نفسك وزناً ..

رُوِىَ أن الحسن بن علىٍّ رضى اللّه عنه سمع خطيباً فلم يعجبه ولم يتأثر به فقال له : « يا هذا .. إن بقلبك سوءاً أو بقلبى » .

فلا بد إذن من الاقتناع قبل الإقناع .. ولا بد من الإخلاص قبل العمل .

وعندما كلّف اللّه موسى عليه السلام بدعوة فرعون وقومه سأل اللّه تعالى أشياء تُعينه على تلك المهمة الشاقة .

١ - سأل اللّه أن يشرح صدره لأداء الرسالة .. حتى تصبح عنده هواية أو متعة تهون معها الشدائد : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ (١) .

٢ - وسأله تيسير الأمر وتذليل العقبات - ومن ذلك تليين القلوب .. وتحويلها بالعطف عليه .. ودفع الشدائد التى تعرقل السبل ووقايته من كيد الكائدين : ﴿ وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى ﴾ (١) .

٣ - وطلب منه أن يحل عقدة لسانه ويرزقه الفصاحة والكلمة المؤثرة ليكون ذلك أعون له على التأثير : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى * يَفْقَهُوا قَوْلِى ﴾ (١) .

---

(١) طه : ٢٥ - ٢٨

٤ – وطلب رفيقاً ومساعداً من أهله تتوفر فيه الثقة والأمانة : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ (١) . ولا شك أن الدعوات – تنتفع بالعصبيات .. على أن تكون الدعوة هى المستفيدة وليست هى محل الاستغلال .

٥ – وأوضح أنه مؤمن بربه راغب فى رضاه : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾ (١) .

٦ – وأوضح كذلك أنه عارف باطلاع اللّه على خفايا النفوس إذا أرادت استغلال الدين ، وأنه لا يصلح معه إلا الإخلاص وحسن الانقياد : ﴿ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً ﴾ (١) .

والقائمون بالدعوة العامة ، يجب أن تتوفر لديهم شروط وصفات شخصية تؤهلهم لأن يتصدروا المحافل ويستحوذوا على انتباه الجماهير – بعض هذه الصفات خَلْقية تكوينية مثل سلامة الجسم من المنفرات وقوة الصوت والقدرة على الحركة ، لكن البعض الآخر خُلُقى يمكن تنميته بالعلم والتمرين كحسن الخُلُق ولين الجانب وحسن الفراسة والاستنباط .

* * *

---

(١) طه : ٢٩ – ٣٥

الخُطبة التعبُّدية

يلزم للداعية المسلم - أن يحيط علماً بأصول الدين والعبادات والمعاملات حتى يكون صالحاً لتغطية المواقف التى تتصل بهذه المكانة .. فلا يليق به مثلاً أن يُدعَى لخطبة العيد أو صلاة الجنازة ثم لا يتمها على الوجه الأكمل .

وهناك أنواع من الخطب ترتبط بصلوات وعبادات ما بين فريضة ونافلة - نوضحها وما يلزم فيها بإيجاز :

● صلاة الجمعة [١] :

وتجب على كل مسلم مكلف ذكر مستوطن ببناء - ووقتها من الضُّحى إلى آخر وقت الظُّهر ، وحضور أربعين (وورد أنها تجوز بأقل من ذلك) - ومَن أدرك مع الإمام ركعة أتمها جمعة وإلا صلاَّها ظهراً ، ويخطب الإمام قبلها خطبتين قصيرتين .. يقرأ فيهما آية من كتاب الله مع حمد الله والصلاة على رسوله عليه الصلاة والسلام - ويوصى بتقوى الله - ويُسَنُّ أن يخطب قائماً معتمداً على عصا أو سيف مواجهاً للناس ، وأن يدعو للمسلمين وسلطانهم بصلاح الحال وغيره دون التورط فيما يشبه الملق أو تحبيذ الفساد والظلم ، وأن يجلس برهة بين الخطبتين ، وأن يخطب على منبر أو موضع عال ، وأن يُسَلِّم على الناس إذا أقبل عليهم .

أما الصلاة فركعتان يقرأ فيهما جهراً - ويُسَنُّ أن يُصَلِّى قبلها ركعتين أو أربعاً وبعدها مثل ذلك ، ويتأكد الغُسل والتطيب ولبس الثياب الحسنة لصلاة الجمعة ، ويُكره تخطى الرقاب والكلام حال الخطبة - ومن جاء والإمام يخطب فليُصلِّ ركعتين خفيفتين ثم يجلس .

* * *

---

(١) لقد اخترنا العمل بالمشهور عند الحنابلة - وهناك اختلاف يسير عنه المذاهب لا يضر تركه ولا داعى للخوض فيه .

● صلاة العيدين :

هى فرض كفاية فى عيد الفطر وعيد الأضحى - ووقتها - كصلاة الضُحى - من بعد ارتفاع الشمس قدر الرمح إلى قبيل الظُهر ، ويجوز قضاؤها فى اليوم التالى لمن لم يعلموا بها ، وشروطها كشروط صلاة الجمعة ويُسَنُّ أن تقام فى ظاهر المدينة إلا لأهل الأعذار .

وتُصَلَّى ركعتان قبل الخطبة جهراً - يُكَبِّر فى الأولى قبل قراءة الفاتحة سبعاً وفى الثانية خمساً وتُرفع اليدان مع كل تكبيرة ويقول الخطيب : « اللّه أكبر كبيراً والحمد للّه كثيراً وسبحان اللّه بُكرة وأصيلاً - وصلى اللّه على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً » أو نحو ذلك ، ثم يقرأ الفاتحة وسورة مثل سور « سبح » أو « الغاشية » ، ثم يخطب كخطبتى الجمعة لكن يفتتح الأولى بتسع تكبيرات والثانية بسبع ، وفى عيد الفطر يحثهم على إخراج الزكاة ويوضح لهم أحكامها ، وفى عيد الأضحى يحثهم على ذبح الضحية ويبين لهم حكمها .

ويُكره أن تُصَلَّى النوافل فى مُصَلَّى العيد .. ويُسَنُّ التكبير ليلتى العيد ، ويستمر التكبير فى الفطر إلى آخر اليوم بعد الصلوات المفروضة ، وفى الأضحى إلى عصر ثالث أيام التشريق للمُحْرِم ، وصفة التكبير : « اللّه أكبر اللّه أكبر .. لا إله إلا اللّه .. اللّه أكبر اللّه أكبر .. وللّه الحمد » .

* * *

● صلاة الكسوف والخسوف :

هى ركعتان - سُنَّة - كل ركعة بقيامين وركوعين والجماعة فيها أفضل - ويُسَنُّ طول القراءة مع كثرة التسبيح فى كل ركعة ، والأُولى أطول من الثانية ، فإذا زال الكسوف عن الشمس أو الخسوف عن القمر أثناء الصلاة أتمها خفيفة - وليس فيها خطبة .

* * *

● صلاة الاستسقاء :

إذا أجدبت الأرض واحتُبِسَ المطر يدعو الإمام أهل البلدة للخروج إلى صلاة جامعة – حكمها وشروطها كصلاة العيد ، يخرَج الإمام معه أهل الدين والشيوخ والمميز من الصبيان – إلى ظاهر المساكن – متضرعين متذللين – فيُصَلّى بهم ركعتين ثم يخطب خطبة واحدة ويفتتحها كخطبة العيد – يُكثر فيها من الاستغفار وتلاوة آيات من القرآن – ثم يرفع يديه وظهورهما نحو السماء فيدعو بأدعية النبى عليه الصلاة والسلام (١) .. فإن سُقوا وإلا عادوا ثانياً وثالثاً ، وإن جاءهم المطر بعد تأهبهم للخروج خرجوا وصلوها شكراً .

* * *

● الجنازات :

من السُنّة زيارة المريض والدعاء له بالعافية وتذكيره بالتوبة والوصية .. فإذا رُئِىَ أنه مشرف على الموت فمن السُنّة تعاهد حلقه بماء أو شراب وتندية شفتيه وتلقينه « لا إلَه إلا اللّه » وقراءة الفاتحة عنده وسورة « يس » وتوجيهه إلى القبلة . فإذا مات يقوم الحاضر بتغميض عينيه وشد فكيه وتليين مفاصله وخلع ثيابه وستره بثوب .. ووضع ثقل متوسط على بطنه وجعله على سريره ، وغسله متوجهاً بوجهه نحو القبلة منحدراً نحو رجليه – والإسراع فى تجهيزه ومن ذلك تفريق وصيته وقضاء دينه .

ويُطلَب للميت غسله وتكفينه والصلاة عليه ثم دفنه وكلها فروض كفاية (٢) :

– الغُسْل :

لا يُغَسِّل الرجل امرأة يبلغ عمرها سبع سنين فصاعداً وليس لامرأة أن تُغَسِّل رجلاً بلغ سبع سنين فصاعداً .

لكن لكل من الزوجين أن يُغَسِّل الآخر .. ويُغَسِّل الرجال الرجال ويُغَسِّل النساء النساء ، وإن مات رجل بين نسوة يُيَمَّم (٣) ... وكذلك امرأة بين رجال –

(١) توجد هذه الأدعية ونحوها فى دواوين خطب الجمعة وهى كثيرة متوفرة .

(٢) إن قام بها البعض سقطت عن الآخرين .

(٣) أى يعمل للميت التيمم بالغبار الطاهر فتمسك يديه ويضرب بهما على شىء فيه غبار – واحدة لوجهه وأخرى لذراعيه حتى المرفقين وهذا يغنى عن الغُسل .

ولا يُغَسِّل مسلم كافراً ولا يُلَقِنه ولا يُصلِّى عليه ولا يتبع جنازته - بل يقوم بدفنه إن لم يوجد من يقوم بذلك من جماعته .

وإذا شرع فى الغُسل يستر عورته ثم ينوى الغُسل ويُسَمِّى اللّه ويُغَسِّله كما يُغَسِّل الحى ، إلا أنه يرفع رأسه إلى قدر جلوسه ويعصر بطنه برفق .. ثم يلف على يديه خرقة فينظفه بها - ولا يمس عورته إلا بحائل .. ويمسح أسنانه وأذنيه ومنخريه بخرقة ويوضئه ويُفيض الماء عليه .. ويحسن وضع طِيب فى ماء الغُسل .. وحشو فمه ومخارجه بقطن - ولا يغطى الرأس ولا وجه الأنثى ، ويدفن الشهداء (١) بدمائهم وفى ثيابهم دون غُسل ولا صلاة لكن يُنزع عنهم سلاحهم .. والسقط الذى بلغ أربعة أشهر كالمولود حياً ، ولا يجوز سوء الظن بمسلم ظاهر العدالة .. وعلى الغاسل - والطبيب - ستر ما يجد من عورة فى الميت .

- التكفين :

الكفن واجب وهو مُقَدَّم على سداد الدَّين - فإن لم يوجد فيؤخذ من بيت المال العام .. ويُكَفَّن الميت فى ثلاث لفائف بيض ويوضع قطن بين إليتيه ويُشَد عليها بخرقة مشقوقة . ويُجْعَل الفائض عند الرأس ثم يعقد أثوابه عليه - وتحل ثانياً فى القبر - ويجوز ثوب واحد يستر جميع البدن وتحرم المبالغة فى نوعية الكفن .

- صلاة الجنازة :

ويُسَنُّ أن تكون جماعة ويقوم الإمام عند صدر الرجل وعند وسط المرأة ، ويُقَدَّم للإمامة الأفضل فالأقرب للميت . ثم يُكَبِّر تكبيرة قائماً - رافعاً يديه مع كل تكبيرة - يقرأ بعدها الفاتحة فقط ، ثم يُكَبِّر الثانية ويُصَلِّى بعدها على النبي ﷺ كما فى آخر التحيات . ثم يُكَبِّر الثالثة ويدعو بما ورد (٢) ... ثم

---

(١) الشهيد هو الذى قاتل لتكون كلمة اللّه هى العليا . ومات على ذلك .

(٢) ومثل ذلك قوله : « اللّهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وأنت على كل شيء قدير .. اللّهم مَن أحييته منا فأحيه على الإسلام - ومن توفيته منا فتوفه عليه .. اللّهم اغفر له - أو لها - وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ، ونقه من الذنوب =

يُكَبِّر الرابعة ويقف بعدها قليلاً أو يقول : « اللّهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا ولـه » ثم يُسَلِّم تسليمة واحدة وبذلك تنتهى صلاة الجنازة .

ومن السُنَّة أن تُؤدَى على القبر ويُكره أداؤها فى المسجد حتى لا تسيل منها نجاسة . ويجوز أداؤها بعد موته إلى شهر .

وتُصَلَّى صلاة الغائب عن الشهيد - وكذا مَن مات غريقاً أو محروقاً أو مفقوداً ولم يُصَلَّ عليه - إلى مدة شهر .

- حمل الميت ودفنه :

يُسَنُّ أن يُحمل الميت على أعناق رجال أربعة ويُسرَع فى السير بها ويمشى الماشون أمامها والراكبون خلفها .. أو قريباً منها - ويكون القبر لحداً (١) .. ثم يُهال التراب عليه ويُسَنُّ للحاضر أن يحثو عليه ثلاث حثيات من تراب وأن يدعو له بعد الدفن قائماً .

ويُكره أن تتبع الجنازة بنساء أو أصوات أو ذبائح أو نيران أو موسيقى وطبول ... كما يُكره بناء القبر بالأسمنت ونحوه والجلوس والاتكاء والكتابة عليه - ويُحرم دفن اثنين فأكثر فى قبر إلا لضرورة وفى هذه الحالة يُحجز بينهما بتراب .. ولا يُرفع القبر عن الأرض أكثر من شبر ولا بأس بوضع جريدة أو

= والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .. وأبدله داراً خيراً من داره ، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر والنار .. وافسح له فى قبره ونوِّر له فيه » .

وإن كان صغيراً أو مجنوناً قال المصلى : « اللّهم اجعله ذخراً لوالديه وأجراً وشفيعاً لهما .. اللّهم ثقل به موازينهما وأعظم به أجورهما وألحقه بصالح سلف المؤمنين .. وقه برحمتك عذاب الجحيم » .

(١) وهو أن يحفر فى أسفل حائط القبر ، وأن يكون مما يلى القبلة ، ويودع الميت فى هذا اللحد على شقه الأيمن - وتُكره المخدة والقطيفة - وتوضع رأسه على لبنة .

علامة عليه .. دون الكتابة على القبور ، وألا يُلحق القبر بمسجد ولا يُبنى المسجد على قبر بسبب ما جاء عن رسول الله ﷺ من النهى الصريح عن ذلك .

ويُسَنُّ إصلاح طعام لأهل الميت لا لمن يجتمعون عندهم .. وإذا مر الإنسان بالمقبرة يقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين .. وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون .. يرحم الله المتقدمين منكم والمتأخرين .. نسأل الله لنا ولكم العافية .. اللّهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم .. واغفر لنا ولهم » - ولا يُطلب شيء من المقبورين ولو كانوا من الأنبياء أو أكابر الصالحين - ولا يُطاف بالقبور مهما كانت بل تُطلب الرحمة لهم ... وكلهم محتاج إليها ..

ويحرم إتيان البدع المشهورة فى الجنائز ومثلها إقامة الأحفال واستئجار قُرَّاء للقرآن وإظهار الإسراف ونحو ذلك .

هذا وينبغى أن يُدرَب الدعاة على القيام بمثل هذه الأعمال والعبادات ... احتساباً لله دون أجر .. فإنها كبيرة الفائدة فى إثبات السُنَّة وقمع البدعة .. وتبدو أهميتها فى مثل البلاد الأجنبية حيث يكون موت المسلم هناك مشكلة لقلة مَن يُحسن القيام بهذه الأعمال .. كما يَحسن اتقانها على الوجه الأكمل تفادياً للنقد والجدل .

* * *

• ما يُراعَى فى الخطب الشرعية :

أولاً : ألا تكون طويلة مملة - لارتباط السامعين فيها بحالة الطهارة مع التزام الصمت والجلوس أو القيام فى مكان محدود مزدحم .. وقد يكون معهم النساء والأطفال والضعفاء ، وقد يكون الوقت شديد الحرارة أو شديد البرودة .. فيتأذى المصلون [1] .. ولا بأس بأن يكتب الخطيب خطبته ثم يلقيها بأداء جيد .

---

(١) قال ﷺ : « من أمَّ بالناس فليخفف فإن فيهم السقيم والضعيف وذا الحاجة » .. ويرى الكثيرون أن المدة من عشر دقائق إلى خمس عشرة هى الوقت المناسب .

ثانياً : ألا يميل الخطيب فى هذه المناسبات إلى تجريح الأشخاص أو الجماعات أو المبالغة فى الثناء عليهم .. فإنما شُرِعَت هذه الجماعات لتذكير الناس بشئون الآخرة على سبيل الإجمال ولا بأس بطرق موضوع يهم المصلين فى أمر دنياهم .. إذا وُجِدَ سبب لذلك .

ثالثاً : ولا بأس من الارتجال للقادر عليه مع تحديد العناصر فى الذهن أو في ورقة صغيرة . حتى لا يتعرض لنسيان الوقت والموضوع .

ويحرص الداعية على حسن المظهر والتزام الخشوع والوقار فهذا مقام القدوة فى الدين .

* * *

الخُطبةُ التأثيريَّة

هى أكثر الأنواع شيوعاً فى مخاطبة الجماهير ويصاحبها الانفعال والحماسة فى العادة (١) .

وموقف الخطابة ليس سهلاً ولا يحسنه من الدعاة إلا القليل .. وينبغى أن يُعَد له الرجال إعداداً فى جماعات أو فى معاهد خاصة (٢) .. فذلك من أشرف ما توقف عليه الجهود .

وقلب الخطيب متصل بعقله ، فلا ينبغى له أن يتعرض للموقف إلا إذا كان ممتلىء القلب بالعاطفة وممتلىء العقل بالمعلومات .. لأن الضعف فى أحدهما يُبرز التهافت والفشل .

وسنحاول فيما يلى أن نشير إلى بعض المعانى التى تؤخذ فى الاعتبار .. وما هذه التقسيمات إلا لتسهيل الدراسة .. وإلا فالموضوع كل لا يتجزأ ..

* * *

(١) ورد أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب على المنبر « كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم » .

(٢) انظر رسالتنا : « كيف تكون داعية » .

من آداب الدعوة العَامّة

مما يساعد على نجاح الخطيب فى أداء مهمته مراعاة المسائل الآتية :

- حسن الاختيار .
- اليقظة .
- حسن الأداء .
- المتابعة .

أولاً : حسن الاختيار

على الخطيب أن يراعى حسن الاختيار فى مادته ومن ذلك :

١ - اختيار الموضوعات

فعليه أن ينتقى المواد التى تضيف جديداً إلى ثقافة المستمعين مثل :

« الكلام والصمت ... والمشورة ... كتمان السر ... الصبر والجزع ... المزاح والضحك ... المروءة ... طلب العلم ... معانى البر ... حدود الطاعة .. أركان الإسلام ... معانى التوحيد ... الاجتماع الإسلامى ... معنى الكفر ... معنى النفاق ... مظاهر الإحسان .

آداب المعاشرة .. المأكل والمشرب والتحية والخدم .. واللّباس والعلاقات .. تأديب النفس وتهذيبها .. مكارم الأخلاق (كالصدق والكذب - الحياء - التواضع والكِبر - حسن الخُلُق) .. فهم أصول الدين .. حق الصديق على الصديق .. الصحة والفراغ .. نعمة العمل ومحنة المال .. التعاون والمواساة بين الناس ... العقل والهوى ... فن نشر الدعوة ... قيمة العمل والعامل ... حق المال على الأغنياء ... تصحيح العقيدة ... ما ليس من الدين ... السُنّة والبدعة ... أهمية الشريعة فى حياة الناس » ... إلخ .

وفى الأندية التى تنظم محاضرات دورية يحسن أن تختار قائمة لمحاضرات الموسم كل سنة أو كل عدة أشهر ، بحيث تشمل سلسلة من البحوث النافعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية (كالخدمة الاجتماعية والإحصاء ... بسائط الطب والمشاكل الدولية أو قضايا الساعة والبحوث التاريخية والدينية والجغرافية وعجائب المخلوقات والمخترعات والعلوم) ويُدعَى لها محاضرون متخصصون أو تنشأ حلقات للبحث أو للمناظرة ، ثم تحدَّد مواعيدها بالاتفاق مع المحاضرين وتوزَّع الدعوات بطريقة نظامية [١] ...

٢ - اختيار اللَّفظ والعبارة

وهذا باب واسع نكتفى فيه بالإشارة ...

فمن حيث الألفاظ يلجأ الداعية للسهل المألوف بدلاً من الوحشى الغريب .

فبدلاً من قوله : « اشرأبت » يقول : « تطاولت » .

وبدلاً من قوله : « يجشمها » يقول : « يكلفها » .

وبدلاً من قوله : « تفاقمت » يقول : « اشتدت » .

وبدلاً من قوله : « التبعة » يقول : « المسئولية » .

وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [٢] .

- ومن خطب العبادات :

يعتمد الخطيب على المقاطع الواضحة القصيرة وليس السجع المتكلف - وليكن فى الحساب أن بعض السامعين سيُحرِّف الكلام عن مواضعه بحسن نية أو بسوء نية .. فلا داعى لإيراد الكلام الذى يحتمل سوء التأويل- ومن الخطأ

---

(١) انظر موضوع تنظيم الحفلات فى قسم الأمور العامة .

(٢) سورة ص : ٨٦

أن يصطدم الخطيب - بالأمور المُسَلَّم بصحتها لدى الجماهير - دون مقدمات مقنعة - كما أنه من الخطأ التورط - فى المسائل الخلافية التى تُحَزِّب الناس وتشتت الانتباه .. وإذا أُثير الخلاف من غيرك فعليك أن تعالجه بأيسر سبيل .. إن إزالة الفُرقة ودواعيها تأليف بين الناس ، إن تجميع الجهود هو فى حد ذاته هدف من أهداف الدعوة ..

ولا داعى لكثرة إيراد التعبيرات المألوفة المطروقة بل يحسن الابتكار والتجديد ، وإنما العلم بالتعلم ، ويجمل بالخطيب أن يتعلم ما يُقال فى المناسبات فهناك الكثير الجيد من الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ فى مناسبات شتَّى من أغراض الحياة : كالتعزية ، والتهنئة ، والزواج ، ونزول المطر ، وعيادة المريض ... وغير ذلك .

كما يجمل به أن يحفظ جملاً من القطع الأدبية ومختارات من أشعار العرب بالإضافة إلى القرآن الكريم والحديث الشريف للاستشهاد بها والاقتباس منها عند الحاجة .

٣ - تخير الوقت المناسب

ويجمل بالخطيب أن يتحرى الوقت الملائم لموضوعه والزمن الذى لا يشق على السامعين الحضور فيه ، فليس جميلاً أن يشرع الخطيب فى حديثه عقب خطبة طويلة من خطب الجمعة ، حيث يتهيأ الجميع للانصراف ، ولا فى أوقات الحر الشديد والبرد الشديد ، وكذلك عندما توجد مناسبة عاجلة كتجهيز ميت أو اللّحاق بقطار ونحو ذلك .

٤ - تخير المكان المناسب

ومعلوم أن بعض الأماكن لا تصلح لإقامة حفل ما - كما هو الحال بجوار المصانع ذات الضجيج - وحيث يحصل الأذى للجيران .. وبجوار دور اللّهو وفى دور أحد الزعماء المتنافسين دون الآخر وفى الأماكن النائية عن العمران .

وفى فطنة الدعاة ما يُغنى عن الإطالة فى الموضوع .

* * *

ثانياً : اليقظة

ومنها حسن التخلص :

فكثيراً ما تعرض للدعاة والخطباء مواقف محرجة ، تستدعى سرعة البديهة وحسن التخلص ، ومن هذا القبيل تلك الأسئلة الدقيقة ، التى يكون بعض السامعين قد أعدها ليختبر بها اتجاه الخطيب أو ميوله الخاصة ... وبعض الاستفسارات عن أشياء ليست من اختصاص الخطيب ... أو هى خارجة عن نطاق البحث فيحسن أن يتعلم المتكلم كيف يخرج منها بغير مأخذ عليه - فلا ينقطع ولا يخطىء الجواب .

● أعرف زعيماً اشتهر بالقدرة الخطابية - وذات مرة فاجأه أحد السامعين أثناء المحاضرة بقوله : « هذا غير صحيح » وفطن الخطيب إلى ما يريده المعترض فاكتفى بقوله : « هذا رأيك » واستمر دون أن ينقطع .

● كان الطالب يؤدى اختباراً فى دروس التربية العملية تحت إشراف أحد الأساتذة ، فوقف أحد التلاميذ ووجه إليه سؤالاً كان لا يعرف الاجابة عليه وكان الطالب سريع البديهة فقال للتلميذ : « ذكرنى فى آخر الدرس » وبمجرد أن دق الناقوس خرج التلاميذ يهرعون إلى فناء المدرسة ، ونسى التلميذ سؤاله فكتب المشرف الملاحظة الآتية : « الطالب ذكى حسن التخلص » ..

١ - المجاملة

ويحسن أن يكون الخطيب مجاملاً وافر الآداب . فمن ذلك :

● أن يُعوِّد ذاكرته حفظ أسماء الناس ، وخاصة ذوى المكانة منهم ، لأنه بحكم أسفاره المتواصلة يلقى أشخاصاً كثيرين وهم يعرفونه ويخاطبونه باسمه ، فلا يليق به أن يجهل أسماءهم وقد عرَّفوه بها من قبل .. إن حفظ الاسم ينطوى على تقدير لصاحبه .

● أن يكون حسن الاستماع للمتكلمين - كما يحب من الناس أن يحسنوا الاستماع إليه - وأن ينصت لمن يخاطبه كأنه يرتاح للحديث .

• ومن ذلك أن يشير إلى فقرات من قول بعض مَن سبقه من الخطباء - على سبيل الاستشهاد بها ، فذلك يدل على حضور الذهن والتواضع الجميل .

• وأن يُثنى على ما يستحق الثناء من جهود الناس وأعمالهم ولن يعدم أن يجد أمثلة كثيرة فالنفوس مجبولة على حب مَن أحسن إليها .

٢ - تفادى الاصطدام

لا ينبغى أن يبدأ الخطيب حديثه باصطدام مع الآراء والمعتقدات المستقرة عند الناس ، ويمكن أن يُساق القول حكاية عن الآخرين ، حتى يظل الناقل فى المكان الأمين . ويُلاحَظ فى بعض البلاد وجود طوائف متنافرة من الأسر والجماعات وأن الانحياز إلى أحدها يكفى لاستثارة حفائظ الآخرين .

وملعوم أن الجدال والمراء لا يأتى بخير - فإذا استُدْرِجَ المتحدث إلى شىء من ذلك فليتنبه لما يُراد به (كالمفاضلة بين حزبين أو جماعتين) وعليه أن يختار الموضوعات التى تنأى به عن مثل هذه الأمور الجدلية .

٣ - تفادى الإحراج

والمقصود بالإحراج هنا - هو أن تضع شخصاً أو جماعة أمام مشكلة صعبة الحل بالنسبة إليه أو إليهم ، فيجدون أنفسهم فى حرج من القيام بأى تصرف . فلا ينبغى للداعية أن يُوَرِّط السامعين فى شىء من ذلك .. ولا يُكَلِّف أحداً بعمل أو بتضحية دون اتفاق سابق معه . وحتى يكون مستعداً لما يُراد منه أو مُصَدِّقاً لما قيل عنه .

وقد شهدت الغلطة الآتية :

أقيم حفل فى إحدى القرى لتأسيس عيادة طبية وتكلم الخطباء ما شاء اللّه لهم . ثم جاء أحدهم وقال (من عند نفسه) : إن فلاناً سوف يتبرع بالأرض اللازمة للمشروع . وسمع الرجل هذا الكلام وبُهِتَ ولم يقل شيئاً . وعند انتهاء الحفل ذهبت اللَّجنة لقبض التبرع فغضب الرجل وقال لهم كلاماً قاسياً وكان موقف الخطيب شائناً - مع افتراض حسن نيته - واضطر أن يعتذر لهؤلاء وهؤلاء .

٤ - عدم الإطالة

فالإطالة هى آفة الخطباء والمُحَدِّثين . وهى تضر الدعوة فى العادة - أكثر مما تنفعها ولهذا يلزم التنبيه إليها والتحذير من آفاتها .

تنشأ الرغبة فى الإطالة من إحدى العوامل الآتية :

● إعجاب المرء بنفسه وتصوره أن علمه جديد على الناس خصوصاً إذا لاحظ من بعضهم استحساناً وثناءً (وهذا من الغرور) .

● حب الشهرة والمحمدة والانشغال بالنفس وهو من الرياء ، ويجدر بالداعين أن يخافوا على أنفسهم من هذا الشرك الخفى .

● الغفلة والنسيان وعدم تقدير مصلحة الآخرين . وقد يكون التطويل مقصوداً من جانب المتكلم لما يظن من تحقيق المنفعة - أو لأن الموضوع فى ذاته طويل ومتشعب . وفى كل ما تقدم .. على الداعية أن يعلم أن الشعوب العربية والإسلامية قد طالت محنتها وكثر عليها الكلام الذى لم تجن منه إلا القليل وقد أصبحت تزهد فى كثيره وقليله على السواء .

● ومن الخير للمرء أن يعرف أشياء قليلة معرفة تامة عن أن يعرف أشياء كثيرة معرفة عامة .

● إن الطاقة الذهنية محدودة .. ولا يمكن السامع - فى العادة - أن يتابع بانتباه لأكثر من ١٥ دقيقة وبعدها يصيبه الإعياء أو الشرود - ويتمنى أن يستريح حتى يجد مشوِّقاً آخر ، والكلام فى المجال الدينى معروف للمسلمين خاصة ، ففى كل موضوع دينى ، جاءت آيات وأحاديث معينة - فالمستمع الذى عاش ٣٠ عاماً لا بد أنه سمع هذه النصوص عشر مرات على الأقل فانتبه يا أخى لهذا .. وحاول أن تجدد وتتجدد - فإن لم تستطع فعليك أن تجتهد وتختصر .

● وبعضهم يخشى أن يُتهم بالتطويل ، فيترك الموقف مبتوراً لا يسده غيره وهذا غير حسن .

● يحاول بعضهم أن يبرر حرصه على الإطالة بقوله : « أخشى أن أُطيل عليكم » كأنما يطلب تجديد الثقة - وهذا غير حسن أيضاً .

والأُولى أن يحدد الوقت والموضوع من قبل وأن يحترم ذلك بدقة .

٥ - إدراك ما يجول بالخواطر

لا شك أن ظروف الأحياء تفرض عليهم كل يوم أنواعاً من القضايا التى تهمهم وتستولى على مشاعرهم ... ومطلوب من كل داعية أن يكون متجاوباً مع جمهوره تماماً . لأنه واحد منهم وإذا عرض لأمر جديد ، فإن عليه أن يتصور ما سيتحرك فى نفوس السامعين من الاعتراضات - والتساؤلات فيه .. وأن يُضَمِّن حديثه جواباً عليها .. كأن يقول مثلاً : « وهنا يجوز لسائل أن يسأل عن كذا .. ونحن نجيب بكذا » ، أو يقول : « ومع تسليمنا بوجاهة هذا الاعتراض نحب أن نوضح كذا » .

هذا الأسلوب يشفى الصدور ويدل على ذكاء وفطنة ، ويوفر وقتاً كان يمكن أن يضيع فى جدل كثير .

٦ - إدراك المخططات

ولا بد للداعية من دراسة الحركات الكبرى التى مرت فى التاريخ بصفة خاصة - وأن يجدد معرفته دائماً ليقف على ما تتفاعل به الدنيا من خير وشر .

فيقرأ الصحف ويسمع الأخبار ويحللها بروح الفاهم ولا يأخذ الأمور على علاَّتها .. حتى يدرك مخططات الأعداء والأصدقاء . وكم يكون جميلاً لو اختار الداعية موضوعه تعليقاً على خبر منشور فى إذاعة أو صحيفة صدرت حديثاً .

وإن الذين يعملون فى حقل الدعوة الإسلامية مثلاً سيواجهون مشكلة الجهود المضادة والتى تحارب هذا الدين منذ أنزله الله - بأساليب ماكرة وأموال هائلة وقوى متكتلة .

ولن يكفى مطلقاً أن تضع البذرة وتغفل عن الآفات التى تصيب النبات والتي تهدده بالذبول .. وهذا كلام له تفصيل .

٧ - التدرج من المعلوم إلى المجهول

ومن طرق الإقناع أن نتدرج بالسامع من الحقائق المقررة إلى ما يراد تثبيته فى الأذهان كأن تقول : « إن الله أعطانا العقل .. وميَّزنا به على سائر المخلوقات .. فنحن نتحمل من المسئولية بقدر هذه النعمة - وعلينا لأجل ذلك ضريبة لازمة - هى معرفة الحق والدعوة إليه » .. إلخ .

٨- الالتفات للدقائق

إن مثل الداعية كمثل مَن يدير جهازاً كبيراً معقداً .. وإن الغفلة عن واحدة من أجزائه تؤدى إلى خلل فيه .. ومن أمثلة الأمور الدقيقة :

- أن تكون للداعية عادة - أو لازمة - من قول أو حركة غير طبيعية .
- وأن يشير إلى جماعة من الحاضرين وهو يتحدث عن أهل الكفر والنفاق - أو يضرب المثل المنكر بواحد من الحاضرين .
- وأن يبالغ فى نقد العادات الاجتماعية المستقرة عند القوم بما يسىء إلى مشاعرهم (١) .
- أو أن يكون فى لباسه أو رائحته أو مظهره ما يخالف المألوف .

---

(١) خطبت فى « أم درمان » وانتقدت توسيم وجوه الناس بخطوط طولية أو عرضية لتمييز أفراد القبائل . فما خرجت من الحفل إلا تحت حراسة بعض الأصدقاء ..

وخطبت فى « بعلبك » منتقداً سجود بعضهم على قطعة من الطين يحملونها معهم ، فسحبنى بعض أهل الخير من الباب الخلفى للسرادق لنفس السبب .

● أو أن يتجاهل زملاءه الخطباء ، أو يُسَفِّه أحلامهم ، بما يُشعر بأنه يستعلى عليهم .

كل ذلك لا يجوز .

* * *

ثالثاً : حسن الأداء

تحت هذا العنوان يندرج أكثر عمل الخطيب والمحاضر وهو باب واسع نجتزىء منه هذه العناصر التى تعين على تحقيق الهدف :

● البدء باسم اللّه تعالى :

فكل عملنا إنما هو للّه .. وإلى اللّه مرجعنا .. فما لم نبدأ باسم اللّه ونركن إليه سبحانه ونختتم باسمه ونستمد منه العون - فقد أخطأنا أول الطريق.

● استحضار المادة :

ومن أهم ما نوصى به أن يكون الموضوع واضحاً تماماً فى ذهن صاحبه - ويمكن الاحتياط بتدوين رؤوس المسائل فى وريقة صغيرة يرجع إليها المحاضر بلمحة سريعة - حتى لا يرتج عليه فى وسط الخطابة ثم يعود يبحث ويخلط أو يستطرد أو يتسوّل المعانى .. على أنه إذا فرغت ذاكرة الخطيب من المعانى المرتبة فعليه أن يُنهى الحديث دون إبطاء .

● التشويق وبراعة الاستهلال :

ويتمتع بعض الخطباء بمقدرة نادرة على إثارة اهتمام السامعين والتمهيد للموضوع بمقدمة مناسبة أو حكاية ظريفة أو نكتة بارعة ، ولا بأس بقراءة بعض النصوص والمقطوعات واستحضار اللّوحات والخرائط عند الضرورة . وكلما أحس السامع بمجهود الخطيب وبإخلاصه فى التحضير كلما كان أكثر احتراماً له .

وفرق بين داعية يقف ليشرح حديثاً عربياً باللُغة العربية للعرب وبين داعية يعرض بحثاً مقارناً مشحوناً بالوثائق ثم يخرج بنتيجة يؤيدها فى النهاية بحديث شريف أو آية من كتاب الله .

• الوقار وحسن السمت :

فمن حسن الأداء ألا تكثر من الحركات والتلفت على طريقة الممثلين – بل يجمل بك أن تكون إشارتك هادئة وإن خطوت فإنما تكون خطوات متئدة ، وأن توزع التفاتك على الموجودين باعتدال ، فلا تتجه كل الوقت إلى جهة معينة ، ثم تُغفل النظر عن الجهات الأخرى .

ومن اتزان الحركات ألا تُرى منفعلاً غاضباً أثناء الخطبة ثم يراك القوم بعدها لاهياً – تُرسل الضحكات العالية – فإما أن يكون الداعية نموذجاً لما يدعو إليه من جد واستشعار للمسئوليات ، وإما أن يكون صاحب دعابة ويُعرف بذلك ، فلا داعى إذن للثورة الكلامية .

وعلى الخطيب أو الداعية أن يعنى عناية خاصة بسمته ومظهره العام بحيث يكون مثل عامة الناس اعتدالاً فى الملبس – نظيفاً – مرتباً – وليس فيه ما يخالف مألوف الأمة (١) من ألوان فاقعة أو أثواب شهرة مستغربة .

• اتزان النبرات :

فلا تحملك الرغبة فى الإسراع على أن تشحن الأفكار بالحقائق المهوشة المكدسة ، ولا يحملك تكلف الأناة على تمطيط الكلام وتبليد الأذهان وإثارة الاستياء العام ، فالإسراع يرهق الأذهان فتكل ، والبطء الشديد يعزل الخطيب عن الجمهور .. وبعض الخطباء يتبع نهجاً غريباً ، فيتكلم فترة بصوت معتدل ثم

---

(١) وعن عائشة قالت : « .. وكان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم وفى الدار كوة ماء ، فجعل ينظر فى الماء ويسوى شعره ولحيته . فقلت : يا رسول الله ؛ وأنت تفعل هذا .. ؟ قال : « إذا خرج أحدكم إلى إخوانه فليهيىء من نفسه فإن الله يحب الجمال » وعن ابن عمر : أن النبى ﷺ كان ينظر فى المرآة وهو محرم ..

يخفض صوته تدريجياً ثم يرتفع فجأة ثم يرجع فيكرر نفس الطريقة . وبعضهم تراه يبدأ هادئاً ثم تأخذه الحماسة ، فلا يتوقف إلا وقد تهدج صوته وتعبت حنجرته ، ونزل وهو يتصبب عرقاً . ولا يزال هذا دأبه أبداً .

وإدراك الوَسط فى هذا يحتاج للمران مع تذكير إخوانه له بملاحظاتهم ، حتى يصل الداعية إلى حد الاعتدال وحتى يصبح ذلك عنده عادة لا تكلفاً .

● التقسيم :

وهو أن يقسم الخطيب موضوعه إلى عناصره الأساسية ويوضحها للسامعين .. فيقول مثلاً : « تقوم هذه القضية على ثلاثة أصول » أو يقول : « سنتحدث اليوم فى أربع مسائل أُولاها كذا وثانيها كذا .. » ثم يلتزم بهذا التقسيم أثناء الإلقاء ، فيعود لعناصر البحث بترتيب ويقظة كلما هَمَّ أن يستطرد . وميزة هذه الطريقة أن الناس إن عجزوا عن استيعاب التفصيلات فلن يعجزوا عن استيعاب العناصر الأساسية التى عرضها المتحدث واضحة مقسمة .. وبإمكان كل منهم أن يفسرها لنفسه . وبهذا يظل الموضوع حياً واضحاً للأذهان باقياً ببقاء القرينة وهى التقسيم .

فتحديد الفكرة وحصر الأهداف ابتداءً يساعد على الفهم ، وعلى العكس من ذلك ترى الكلام الكثير المهوش يُنسى بعضه بعضاً ويُضَيِّع أوله فى طوله آخره [1] .

● الواقعية :

وهى أن تعيش واقع الناس ولا داعى لأن تجر السامعين إلى أعماق التاريخ .. إذ لا فائدة من ذلك ، إنما يُدرس التاريخ لنقتطف منه حكمة عابرة نقيس عليها أو نستفيد منها لواقعنا لا لنجعله مادة الوعظ والتربية . إن التربية والتوجيه

---

(١) وقد ألقى أحدهم خطبة طويلة استغرقت ساعتين وفى النهاية توجه إليه أحد المستمعين وكان نائما وقال له : « سامحنى يا سيدى . ماذا قلت الليلة » ؟ وكان الخطيب مرهقاً فأجابه قائلاً : « سامحنى يا سيدى .. لقد نسيت » !!

تستمد منهاجاً عادة من الواقع الحى لكل مجتمع بذاته ، بمعنى أنها تختلف باختلاف الزمن ، ثم تختلف باختلاف البيئة وإذن فالانشغال دائماً بقصص التاريخ يعتبر خروجاً على الموضوع .

انظر ما لديك من الأحداث البارزة فى العصر الحديث واعرضها عرضاً تحليلياً واستخرج العبرة منها وارسم - إن استطعت - خطوط المستقبل - وحينئذ توصف بأنك مصلح أو مجدد .

• الاستفادة من علم النفس والمنطق :

ومما يتصل بموضوع الاستناد إلى المعقول ضرورة الإلمام بالأساليب التى تنظم التفكير وتوصل له ، فدراسة هذه العلوم الإنسانية مما يوسع آفاق المعرفة ويعين على حسن التفاهم مع الآخرين .

• اتقان التلاوة - للقرآن الكريم :

وهذا يفرض على الداعية الإلمام بقواعد اللُّغة والتفسير والتجويد وأن يعيش فى معانى القرآن .. فيميز بين الجمل الإنشائية والخبرية .. وبين ما هو تساؤل وما هو تقرير ..

كثير من الناس يتلون كتاب اللّه لا يستفيدون بشىء منه ولا تزيد قراءتهم المعنى إلا غموضاً ، سمعت قارئاً يقرأ : « الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ .. فِى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ .. مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ .. الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ .. مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » .. لاحظ الفرق بين سرد هذه الآيات وبين الوقوف على فقراتها :

﴿ الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِى بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

(١) الروم : ١ - ٥

وقوله تعالى : « لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ .. وَأَسَرُّواْ النَّجْوَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُواْ .. هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ .. أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ » ؟ (١) .

(لاحظ علامات الوقوف والرموز الخاصة بالتلاوة فى المصحف الشريف) وأن حسن أداء القرآن الكريم يجعله عند المستمع كأنه مفسر .

وكذلك سوف ترى أن الأوقاف القصيرة فى موضعها الصحيح تزيد المعنى جمالاً ووضوحاً .

• ومنه حسن إيراد الحديث الشريف :

وهذا يقتضى الإلمام بمصطلح الحديث وهو أمر غير عسير وتمييز الصحيح من غيره .. فإما أن يذكر الحديث بسنده وتخريجه كما ورد فى الكتب الصحاح ، وإما أن يكتفى الداعية بذكر الصحابى وصاحب التخريج فيقول مثلاً : « جاء فى صحيح مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال ... » .

بعض الدعاة يسمع الحديث فيعجبه معناه ، فيطرحه ويستشهد به استناداً لهذا الإعجاب - وقد لا يكون حديثاً أصلاً - وقد يكون موضوعاً أو مقلوباً أو غير مسند - ويتداوله غيره من بعده فيكثر الخطأ ويتضاعف ..

إن الحديث دين .. يُحِلُّ حلالاً ويُحَرِّم حراماً ... فتجب العناية به والحذر من الخلط فيه لقوله عليه الصلاة والسلام : « مَن كَذَبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

ولا مانع - عند الاضطرار - أن يحكى الإنسان الحديث بمعناه وينبه لذلك بشرط أن يكون متأكداً من صحته أساساً .

---

(١) الأنبياء : ٣

• السيطرة على الحفل :

والمراد بذلك أن تكون طريقة المتكلم وحدها هى التى تقطع الهرج فى الاحتفالات العامة ، وتحمل جمهوره على الإصغاء والانتباه ، وألا يحتاج فى إسكات المستمعين إلى تلاتة آيات فى الزجر أو إصدار أوامر من الخطيب (١) ، أو من غيره ، إنما يكون قادراً على أن يملك ناصية الموقف بقوة الشخصية ، أو حسن التصرف ، هذا أيضاً مما يحتاج للتدريب .. واعتياد المواقف الخطابية .

• هندسة الصوت :

وهو ملاحظة أن يكون صوت المتكلم مناسباً للمكان .. فإن لقوة الصوت وضعفه دخلاً فى تجديد الانتباه ، أو فى كلال الذهن .

ولذلك يلزم أن يكون إرسال الصوت - سواء أكان بالحنجرة العادية أو مذاعاً من جهاز تكبير (٢) - مناسباً للسامعين من حيث المستوى العام .

ولا بأس من أن يقوى الخطيب فى مواطن القوة وأن يترفق فى مواطن الرفق بالدرجة التى توقظ المشاعر ، والتى لا تسبب إرهاقاً للمستمعين .

• البِشر والتبشير :

ولا بد للخطيب من وجه يغمره البِشر والأمل ، وألا ينسى وهو ينذر أن يُبَشِّر ، ومع التخويف أن يُطَمْئِن ، وأن الله تعالى جعل آيات القرآن الكريم متداخلة بين الرغبة والرهبة وقد قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ (١) .

---

(١) بعد خطبة جمعة طويلة فى يوم شديد الحر نهض رجل من هؤلاء المرتزقة يتلو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه : ١٢٤) . فانصرف عنه الناس غاضبين .

(٢) إن سوء استعمال مكبرات الصوت فى بعض البلاد فى المآتم والأفراح والوعظ والأغانى التى يسمونها « تواشيح » أمر بالغ الضرر بالدعوة الإسلامية أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفى المسلمين من هذا الداء العضال .

(٣) الأحزاب : ٤٥ - ٤٦

وهذا الوصف ليس خاصاً به ﷺ وحده ، وإنما ليتحلى به كل مَن سار على طريقته إلى يوم القيامة .

الدعاة عمال دين الله (وليسوا أصحاب دين الله) .

• الاستناد للمعقولات :

يوجد اضطراب عند كثير من المسلمين بين المنهاج العقلى والمنهاج النقلى . وديننا يتميز بأنه يصدق المنقول ويحترم المعقول دون تعارض بينهما . فالمسلم مطالَب بأن يؤمن بالغيب [١] ، وهو الذى لا يقع تحت طائلة المدركات .. كوجود الله واليوم الآخر والجنة والنار .. أما فيما لم يقرر الدين فيه حكماً معيناً ، أو الذى يقع تحت طاقة الحواس الخمس وخصائص العلاقات الإنسانية والسلوك البشرى وإدراك أسرار الكون - فإن دور العقل فيه هو الدور الرئيسى ولولا ذلك ما تقدمت البشرية خطوة واحدة . فليس المسلم كالملحد الذى يرفض ما لا يعلم ، ولا كالحيوان الذى ينقاد دون فكر ولا عقل .. بل هو يرفع شأن العقل دون أن يؤلهه أو يحكمه فيما ليس من شأنه . إن مهمة العقل البحث فى كنه الخَلْق لا فى كُنه الخالق .

وعلى ضوء ما تقدم يجب على الداعية أن يخاطب الناس بما يعقلون وبما يفهمون ، فإن الحجة المقنعة كالطعام الجيد يهضمها العقل وينتفع بها .

والدعاة والخطباء مطالَبون دائماً بأن يسوقوا تفسيراً مقبولاً لما يدعون إليه الناس ، ولا يُلام أحد إذا رفض بعض القول حين لا يستسيغه عقله (ما دام الأمر داخلاً فى دائرة اختصاص العقل) .

---

(١) الإيمان بالغيب الذى جاء من الله ورسوله شىء واجب - وتصديق المنجمين والسحرة بالإخبار عن الغيب شىء محرم .

● التركيز والتلخيص :

ونقصد به عرض المعلومات التى تناولها الموضوع ثم إعادتها بشكل موجز مختصر .

وهذه الطريقة نافعة جداً لأنها تمثل الانطباع الأخير الذى يحمله الزائر معه والتلخيص الأخير يزيده علماً بما فات ويُذكِّره بما نسى ويُجْمِل له ما كان مفصلاً فيقول المحاضر مثلاً :

لقد عرضنا عليكم موضوع كذا ... وكذا ..

وقلنا فيه كذا ... ثم انتقلنا إلى كذا ...

وخرجنا بالنتيجة الأخيرة .. وهى تشمل أربع نقاط (مثلاً) .

أولاها ... وثانيها ... وثالثها ... ورابعها ...

ثم يختتم حديثه شاكراً للجميع حضورهم وإصغاءهم .

* * *

ما بعد الخطبة

ويُقصد بها البحث عما إذا كانت الدعوة قد أفادت أو استفادت .

إن عامة شكوى المصلحين هى من فقدان الرابطة بين العلم والعمل به ، أو فقدان الرابطة بين الذين اشتركوا فى مفهومات متحدة ... إن الشعوب الإسلامية تملك آلاف المساجد تُلقَى بها آلاف المواعظ الأسبوعية الدورية على ملايين من البشر كلهم متفق على ما يقال فيها - ولكن جدواها قليلة ... لماذا ... ؟ إما لقلة المتابعة أو لفقدان الرابطة ، هذا العدد الهائل من المسلمين ... كالذرات المبعثرة ... فقيرهم فقير لا يعرفه أحد ، ومظلومهم مظلوم - قبل الخطبة وبعدها - لا يسعى لإنصافه أحد .

ظالمهم ظالم ، قبل الخطبة وبعدها ، فلا يرده عن ظلمه أحد . فهل هذه طبيعة المجتمع الإسلامى كما أرادها الله ورسله ... كلا . لقد كانت عملية

الأمر بالمعروف على المستوى الفردى والاجتماعى تسد أكثر الثغرات فيمن كانوا قبلنا .. وتعالج معظم الانحرافات بشكل أكبر مما تفعله السلطة ذاتها .

كما كانت مهمة « النهى عن المنكر » تكمل الجزء الباقى - فالأولى تمثل الوقاية والثانية تمثل العلاج .

ومن أمثلة ما يعمل له الدعاة فى هذه المناسبات :

١ - السؤال عمن غابوا .. والاهتمام بهم وإبلاغ التحية إليهم .

٢ - التعرف على النابهين .. فمن السهل إدراك مدي تأثر بعض الحاضرين وتجاوبهم مع الخطيب فهؤلاء ينبغى الاتصال بهم والتعرف عليهم لكى تنشأ أخوة معهم فيما بعد .

٣ - إسداء الجميل .. كمساعدة التلاميذ على ظروفهم الدراسية ورعايتهم والتوسط لإنشاء علاقات زوجية بين أبناء الطبقة الواحدة ، وتبادل الهدايا - والتوصية على مرؤوس عند رئيسه . وإيثار الصالحين بالمعاملة التجارية ونحو ذلك دون تخط للحق وفى حدود الإمكان .

٤ -- تصفية الخلافات .. وتشكيل اللّجان لفض المنازعات والتحكيم .. وهذا الأمر كبير الأهمية لأنه يوفر كثيراً من الوقت والمال ويحوِّل المتخاصمين إلى متحابين ..

٥ - إنشاء المشروعات .. كثيراً ما تتآخى مجموعة من أهل الحى ثم لا يجدون ما يشغلهم فتذبل تلك الرابطة وينفرط عقدها مع الأيام .. لكن وجود مشروع حيوى ، يجعل كل إنسان يجد مجاله ويكتشف مواهب نفسه أو يكتشفها غيره - فتبرز الطاقات النافعة وتدب الحياة فى المجتمعات عن هذا الطريق ، فإنشاء المدارس والجمعيات التعاونية والمساجد والمستوصفات .. كل ذلك فضلاً عما يحققه من الخير فى ذاته - فهو يربط الناس ويدربهم على فعل الخير ، وقد يلد المشروع مشروعاً أفضل منه .

* * *

المحاضرة

المحاضرة هى معلومات مرتبة تعالج موضوعاً معيناً – ولها طابع علمى خاص – لا يحتاج للانفعال ولا للتحمس – وقد يلقيها كاتبها أو تُلقى نيابة عنه – ويسمح بالمناقشة وبالإجابة على أسئلة المستمعين فى نهايتها ... وقد يستعين المحاضر فيها بالرسوم أو أجهزة العرض الفنية والبحوث الأصيلة الجيدة وهى تخدم الدعوة كثيراً – إما بإيضاح ما خفى أو بالدفاع عن الحق المضيع – وإما بإزالة الأوهام التى كثيراً ما تحتل منزلة الصحيح .

ويراعَى فيها على وجه الإجمال ما يراعَى فى الخطب التأثيرية – وقد فصلنا هناك ما يُغنى عن الإعادة هنا .

وإنما تتميز المحاضرة – علاوة على ما تقدم بما يأتى :

- الاطمئنان إلى المراجع ، فإن المقام هنا مقام البحث والتمحيص ، وجمهورالمحاضرة أكثر استنارة من عامة الناس .
- القصد فى الإنشاء ، وفى المحسنات اللّفظية والعبارات الرنَّانة – فهذا مما يعيب المحاضرة ولا يزينها .
- حصر نقاط البحث ، بإيضاح أكثر مع التدوين والتحضير – إذ لا مجال للارتجال – والحرص على العناية باللّفظ والعبارة التى تؤدى المعنى بدقة ووضوح .
- تصحيح النصوص ، كالقرآن الكريم والحديث الشريف وما ينسبه للآخرين من أقوال .

● ربطها بهدف ، إذ لا مصلحة للدعاة فى الانشغال بموضوعات تعتبر من ترف الحياة وتسلية الفارغين من الناس .. فإما دفاع عن حق ، أو إحياء لتراث ، أو توجيه لخير معلوم .

● سعة الصدر ، وعلى المحاضر أن يكون حليماً مستعداً للمعارضة والمناقشة واثقاً بنفسه .

* * *

الحوار والمناقشة

وهو إما أن يكون عفوياً أو مرتباً .

● فالعفوى ، هو الذى يقع مصادفة دون إعداد سابق .

● والمرتب ، هو ما يكون فى الندوات وفى أعقاب المحاضرة حين يطلب تمحيص موضوع معين بإشراف عدد من المفكرين .

وفى كلتا الحالتين نوصى الدعاة بجملة من النصائح - منها :

١ - التهيؤ للموقف : واستحضار ما يحسن قوله فلا يليق بالداعية أن يندفع للكلام كلما وجد فراغاً .. ولا ريب أن ترك الجدل أفضل من الدخول فيه (١) ، ثم إنك تمثل دعوة غالية وليس شأنك كشأن مَن سواك من المتكلمين .

٢ - القصد فى الإجابة : ذلك لأنك واحد من جماعة عاملة فى حقل الدعوة الإسلامية لكل منهم قول ، وتمشياً مع سياسة الاقتصاد فى الجهد . وحرصاً على تجنب الانفعال والتعرض لمواطن الزلل - فلتكن إجابتك على قدر السؤال دون زيادة أو نقص . فالقصد فى الإجابة يمكنك من دقة الحكم على الأشياء ، ويوحى باحترام مكانك لدى السامعين .

---

(١) لقوله عليه الصلاة والسلام : « المراء لا يأتى بخير » .

هذا ولا يجوز أن تخوض فيما ليس من تخصصك ، فإن كان ولا بد - فليكن القول منسوباً إلى مصدره المختص ، مع الإشارة إلى عدم إحاطتك بالتفصيل فى هذا الشأن مثلاً . ومن العلم أن تقول : « لا أعلم » .

٣ - اللّباقة والحذر : وإياك والاستسلام للعاطفة فتتحول إلى خطيب فى موقف المناظرة والمناقشة ، ولا بد أن تعرف حدود الصراحة - فبعض الصراحة لا يُستحسن فى المناقشة المفتوحة - ولا تُقاطِع متحدثاً حتى يفرغ من كلامه .

وعليك بالانتباه والاستماع ، لتستوعب وتستفيد فنحن عندما نتكلم لا نضيف إلى معلوماتنا جديداً . وإنما نكسب الجديد بالانتباه .

واحذر أن يستدرجك أحدهم إلى ما يفقدك السيطرة على علمك أو عاطفتك أو أمانتك ، فالمحاورة ليست إلا معركة - يتطلع كل طرف فيها إلى الظفر بالنصر ... وتذكر ألا ينتهى بك الموقف معلناً بالخصومة لأحد (إلا أن يكون عدوا للّه ورسوله) .

٤ - التأدب والمجاملة : ولا يفوتك فى مثل هذا الموقف أن تضرب المثل فى حسن الخُلُق ورقة الحاشية . كأن تخاطب كل واحد بأحب الأسماء إليه ... وكأن يكون كلامك على مستوى الحاضرين ، سواء أكانوا من العامة أو من المثقفين وكأن تشعرهم بالتقدير والاعتزاز بالتعرف إليهم .

واعلم أن كثيراً من الخلافات تحلها روح المحبة . وأن كثيراً من الخصومات لا تقوم لأجل الغيرة على الحق ولكن لأجل الدفاع عن الذات .

٥ - التوصل للنتيجة : وليكن حرصك على الثمرة بالدرجة الأولى فإن رأيت البحث يتجه إليها فهذا هو المطلوب ، وإلا فعليك حينئذ أن تنقل المحاورة بلباقة بحيث تتجه إلى الخلاصة والنتيجة . فلا ينبغى أن تضيع الأوقات فى مناقشات لا جدوى منها .

وإن الأذكياء هم الذين يقطفون ثمرات الاجتماعات ويضعون حداً للجدل العقيم .

كنا فى أحد المؤتمرات بدمشق ... واحتدم النقاش حول صياغة القرارات حتى طال الوقت ... فقام أحد الأعضاء وتناول ورقة كتب فيها مشروع القرارات من تلقاء نفسه وعلى ضوء ما فهم من نتائج البحوث . ثم طلب الرأى عليها . وسرعان ما نوقشت العبارات ثم أُدخلت عليها تعديلات طفيفة وتمت الموافقة عليها . ولولا ذلك لما أدركنا العِشاء ولا العَشاء .

* * *

نماذج من المناقشات

فيما يلى نماذج من المناقشات التى يتعرض لمثلها الدعاة .

● زار أحد المستشرقين الأجانب جمعية إسلامية - والدعاة يعلمون أن لهؤلاء الناس أنواعاً من النشاط والعلاقات الغامضة - والتقى به فى الجمعية شاب جامعى فرحب به ودار الحوار الآتى :

- إنكم تقومون فى جمعيتكم هذه بمجهود كبير .

- شكراً لحسن ظنكم .

- لكن يبدو أن مواردكم محدودة .

- ماذا نصنع ؟ إننا نعمل فى حدودها .

- أليس من الأنفع أن تبحثوا فى مواردكم ليزيد نشاطكم ؟

- يمكن أن نضاعف نشاطنا بغير مضاعفة المال .

- إذن أنتم صوفيون ...

- نحن مسلمون فقط - وقد تعلمنا أن نحتاج إلى أقل مما نملك ، فنحن أغنياء دائماً ... أما حضارة الغرب فقد جعلت الناس يحتاجون لأكثر مما يملكون فيشعرون بالفقر دائماً .

* * *

● دار الحديث الآتى بين أحد عمد البلاد (المختار) وبين أحد الدعاة :

– إن عملكم هذا طيب ولكن يجب عليكم ألا تضموا لصفوفكم إلا الخلاصات الممتازة من الناس .

– مثل مَن ؟

– مثل أعيان البلد والوجهاء وهم كثير .

– أولاً : ليس كل وجيه ولا كل عين من الخلاصة الممتازة ، بدليل أنك كثيراً ما تشكو من أعمالهم ، وثانياً : لقد ذهبنا إليهم ودعوناهم فلم يقبلوا .

قال العمدة : إذن اطردوا عنكم هؤلاء الصغار الذين ينزلون بكرامتكم إلى الحضيض .

فابتسم الداعية وقال : « جمعيتنا كالمصنع ، بها قسم « الورشة » للتصليح والعلاج . وبها « الفترينة » للعرض والتصدير – وهؤلاء الضعفاء هم مادة المصنع – إن منعناهم فقد المصنع وظيفته » .

* * *

● قيل لأحد الدعاة : لن تنجح دعوتكم إلا إذا وجهتم كل الاهتمام لإنشاء المستشفيات لعلاج هذا الشعب المريض .

أجاب الداعية : تُرى لو صحت أجسام الأمة تنحل مشاكلها الأخرى ؟

قال : لا .. ولكن عليكم بنشر العلم أيضاً .

قال الداعية : وإذا تعلم كل الناس وصاروا مثل أهل سويسرا هل تنحل مشاكلهم ؟

قال : طبعاً ينحل منها الكثير ولا بأس أن تعملوا لجاناً للإحسان والزكاة

قال الداعية : وتظن أنه لو اكتمل للناس التعليم والغنى وكانوا أصحاء يكفى ذلك للتخلص من سيطرة الأجانب ؟

قال : أعتقد ذلك .

قال الداعية : لا يا أخى .. ولكنه طريق واحد للنهوض بكل شعب متخلف مضطرب الأوضاع ، ذلك هو طريق الأنبياء والمرسلين - ويتلخص فى ثلاثة أشياء :

(أ) نشر دعوة الله وتعاليم دينه كاملة صحيحة .

(ب) استخلاص المؤمنين بها وتربيتهم عليها .

(جـ) ثم التعاون معهم لتحقيقها وهى تكفل النصر والعزة والسعادة .

* * *

● اختصم شابان - أحدهما من أتباع الأحزاب - فقال أحدهم وهو يتهم الآخر : إن رئيس جمعيتكم قبض من « جهة كذا » عشرة آلاف دولار .

فجأبه على الفور : لا مانع ، ما دام رئيس حزبكم قبض من « جهة كذا » عشرين ألف جنيه استرلينى .

قال الأول : هذا كذب وافتراء ... أتستطيع الإثبات ؟

قال الثانى : وقولك هو عين الافتراء ... أتستطيع أنت الإثبات ؟

وبهذا انتهى النقاش (١) .

* * *

---

(١) ملحوظة : لا شك أن هذا الحوار ليس هو الأمثل ، ولكن المستويات تختلف - ولا ينبغى للدعاة أن يظلوا من دون الناس يتلقون الهجوم ، وتسدَّد إليهم السهام وهم مشغولون بالدفاع والسلبية ، ولكن الهجوم أحياناً يكون خير وسائل الدفاع .

● قال أحد الوجهاء - فى معرض السخرية من جماعة إسلامية : لا ندرى هل أنتم وعّاظ أم رياضيون أم سياسيون ؟

فقال الداعية : وما العجب فى ذلك ؟ أنت نفسك مزارع ومتدين وسياسى وتاجر .

- لا .. ولكن يجب عليكم أن تسيروا على طريقة واحدة يعرفها الناس .

- نحن نسير على ما سار عليه النبي ﷺ . لقد كان مرشداً وقائداً سياسياً ومصلحاً اجتماعياً ، ومن قبل كان تاجراً وراعياً .

- كلام حسن .. لكنى غير مقتنع .

- لأنك متأثر بفكر دخيل ليس من أفكارنا .. هو أن المشغول بالدين يترك السياسة ، والمشغول بالسياسة يترك الدين .. فإذا كانت السياسة هى الحياة العملية .. فلماذا تباح لكل الناس وتحرَّم على المتدينين وحدهم ؟ يمكنك أن تقول إن على المسلم أن يترك الحزبية .. نعم . ولكن لا يجوز أن يقال : إن على المتدين أن يعتزل سياسة الأمة .

* * *

● زار داعية إحدى قريباته ، فشكت إليه أن زوجها يجبرها على مخالطة أصدقائه وأن تكشف عن رأسها وذراعيها دائماً ..

ولما سأل الزوج عن ذلك أجاب قائلاً : أنا أريدها مثل الناس .

- مثل الناس أم مثل الصواب ؟

- الذى يعمل مثل الناس يكون على الحق .

- ليس دائماً .. أرأيتَ لو سرقت وقلت للقاضى : الناس يسرقون ... تُراه يسامحك أم يعاقبك ؟

فضحك الزوج وقال : لكن لماذا لم تقل لى : « قال اللّه ... قال الرسول ... » كما يفعل المشايخ ؟

– فى المرة القادمة إن شاء اللّه [١] .

* * *

● فى مكان عام توجّه شاب إلى أحد الدعاة بالسؤال الآتى :

– أتسمح لى يا أستاذ ؟ لماذا أرسلت لحيتك ولا زلتَ فى ريعان الشباب ؟

فرد عليه قائلاً : ولماذا حلقتها أنت ؟

– أنا حر .

– وأنا لست عبداً .

– لكن إرسال اللّحية غريب بالنسبة لك .

– كلا ... بل الغريب هو حلقها – أنا تركتها تنمو ... ولكنك أنت الذى يجب أن يُسْئَل عن سبب حلقها ..

– ليس كل شعر الجسم يُحلَق .. ولا كل شعر يُترَك ..

– مثل ماذا ؟

– مثل شعر الرأس .. فهو يُترك .. وغيره يُحلق ..

– حسناً .. أنا اخترت أن يكون وجهى مثل رأسى .. (وهنا ضحك الحاضرون) وخجل الشاب وانصرف .

* * *

(١) قد يكون من الحكمة عدم إقحام الآيات الكريمة ابتداءً حتى لا يُكَذّب بها المعاندون أو الجاهلون .

الفصل الثالث

الدّعوة بالتدوين

- التأليف والصحافة والنقد .
- التوقيعات والأمثال .
- الرسائل والتسجيلات والرموز .
- مختارات .

• التأليف :

امتلأت الدنيا بالمؤلفات .. وأصبح فى كل بيت مكتبة ، بل فى كل مكتب مكتبة .. وشجع تقدم فن الطباعة وصناعة الورق وسهولة النقل على مضاعفة المطبوعات بشكل هائل،وانتهى عهد النسخ على الشمعة وصناعة الوراقة الضعيفة ..

فما هى نوعية تلك التآليف ؟

إن الكتب والمجلات الجنسية تحتل مكان الصدارة دون جدال ، ثم تأتى بعدها الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والدورية ، ثم تأتى الروايات والقصص ، وكتب الجريمة والفساد ، وقد تأتى الكتب الدينية فى آخر القائمة وهذا شىء منطقى فى كل المجتمعات المادية التى لا ترى لها حاجة بالدين .. فالذى لا شك فيه أن الغذاء الفكرى المتداوَل – للكبار والصغار على السواء – ليس هو الأفضل ولا هو الأنسب .

إذن لا بد للدعاة من الانتقاء والتأليف ..

ونعنى بالانتقاء : اختيار ما يصلح من الموجود للتثقيف الشخصى وحسن تنشئة الجيل الجديد .

أما التأليف : فلا بد منه لإكمال النقص الظاهر فى سوق الكتب ، ويكون التأليف ذا شقين :

الشق الأول : اختصار الكتب الكبيرة النافعة وإعادة طبعها بتبويب حسن وإخراج جميل يشجع على القراءة .

الشق الثانى : تأليف كتب جديدة فى أبواب نافعة تناسب العصر ، ذلك العصر المتقدم علمياً ، المتمرد نفسياً ، المتخلف عقلياً .

نقد المؤلفات : وفى دنيا الكتب اليوم ، عدد لا يستهان به من الكتب العربية التى أُلّفت فى البحوث الدينية - وإذا استثنينا عدداً قليلاً منها ، فيمكن أن توّجه لأكثريتها الانتقادات الآتية :

١ - التكرار : إذ لا تكاد توجد رابطة تنسيق بين المؤلفات ، فكل إنسان يكتب ما يعن له .

٢ - ضعف المستوى العلمى ، وفقدان المنهجية والدراسة المسبقة .

٣ - سوء الإخراج : كضآلة الحروف وكثرة الأغلاط وسوء الترتيب .

٤ - عدم الموضوعية وإهمال الأبواب المطلوبة فعلاً - مثل ربط الدين بواقع الحياة ، ونقص الدراسات العلمية لمواجهة الأفكار المضادة ، والعناية بمناهج البحث السليمة .

وعلاجاً لهذه الفوضى « التأليفية » نقترح على المشتغلين بالدعوة الإسلامية أفراداً وجماعات أن تنشأ لجنة ثقافية على مستوى التجمع الإسلامى الكبير . تكون مهمتها مراجعة مشروعات التأليف الإسلامى وتقديم التوصية بشأنها دون محاباة ولا مجاملة ، بشرط أن تعرف مكانتها وتنجو من أية سيطرة سياسية أو مذهبية أو محلية ، ولا مانع من أن تُدفع لها رسوم معينة - كأجور للمراجعة - كما توصى دور النشر باحترام هذه اللّجنة أو بوضع اسمها على المؤلفات المعتمدة لتعطيها مزيداً من الثقة .

وتكون مهمة هذه اللّجنة أن تتناول المخطوط الذى يُقَدَّم لها وتنظر فيه ثم ترد على مرسله خلال مدة معينة بمثل قولها :

● نُشِرَ فى موضوعه كتاب كذا وكذا .. وغيره أولى بالنشر منه .

● أو تقول : « كتاب جديد فى موضوعه جدير بالنشر وربما يلقى معارضة من جهة كذا » .

● أو تقول : « يحسن أن تضاف إليه الأبواب الآتية .. مع ذكر المراجع ، وحذف الأبواب الآتية وتُعمل له فهارس » .. أو تقول : « ينقص حجمه ، أو يزيد حجمه إلى كذا » ... إلخ .

وبهذه الطريقة يقل ما نشاهده من الإنتاج الهزيل .. ويبرز الإنتاج الجيد ، وتنشأ رابطة قلمية على مستوى موثوق .

وقد ينبثق عنها شىء أفضل ... ومَن سار على الدرب وصل .

* * *

● الداعية والتأليف :

لا شك أن الثغرات التى يجب ملؤها بمؤلفات جديدة ليست قليلة .. والمجال واسع مفتوح .. وإنما ينبغى الحذر والأناة .

● فعلينا أن نجتهد فى التقصى والاطلاع ، لنتأكد من أن الذى نحاوله لم يسبقنا إليه أحد ، بمثله أو بأفضل منه .

● وعلينا أن نستأنس بوجهات نظر إخواننا العلماء والباحثين - قبل طرح الكتاب فى السوق - حتى لا نتعرض نحن أو يتعرض كتابنا لهجوم مضاد من المتربصين بالعمل الإسلامى ، أو الذين يرون أنفسهم أولى بقيادته .. وهم كثير ..

● وعلينا أن نلاحظ فى مادة التأليف أن تكون ميسرة لخدمة الدعوة ، مع سهولة التناول (كسهولة الحمل والاطلاع والتدبير والتكلفة المادية أيضاً) .

وإذا لم يجد الداعية الفرصة أو القدرة على التأليف بنفسه ، فليقترح الموضوع على غيره أو ليدل الناس على ما أعجبه من الكتب والمقالات ، أو يجتهد فى تحذيرهم من شرورها .

* * *

● الصحافة :

يزداد الاهتمام بالشئون الصحفية فى العالَم يوماً بعد يوم ، خصوصاً فى البلاد التى تملك التعبير عن الواقع بحرية أكبر .

وبعض الأدباء يرفض أن يكون وزيراً - ويتمسك بعمله كصحفى ، ولا عجب فى ذلك فالوزير يوجه وزارته فقط - إن استطاع توجيهها - لكن الصحفى الناجح ، يملك توجيه الأمة بأسرها .. وربما غيرها من الأمم .

وليس الداعية الناجح هو الذى يلبس عمامة [1] أو طربوشاً ويقف فى المسجد ليقول للمصلين : « عليكم بإقامة الصلاة » .

ولا هو الذى يسعد بإلقاء الأوامر الشديدة على مجموعة من البؤساء ليزيدهم بها بؤساً ، أو يستدر دموعهم ، إنما الداعية الناجح هو الذى يقوم بالدور الممكن فى نشر الوعى السليم والفقه بين الناس ، أو الدور الممكن فى تربيتهم على السلوك الحسن ، ولماذا تظل المنابر المهمة والمراكز الحساسه حكراً على الذين لا يعلمون أو الذين لا يعملون ؟

إن على الدعاة أن ينتشروا فى كل مكان ، وعليهم أن يشغلوا من الأعمال ما يرونه الأفضل لتثبيت مكانهم وما يرونه الأرجى لنشر دعوتهم .

* * *

• المقال الصحفى :

ليس هذا مجال التفصيل فى فن كتابة المقال ، فالوصول إلى المستوى الجيد يحتاج للدراسة النظرية الموضوعية ثم التدريب المستمر - بإشراف أهل هذه الصناعة - وإنما المقصود هو أن يأخذ الداعية سمتاً متميزاً فى مقالاته .

متميزاً عن تجار الأدب : الذين يبحثون عما يروج ويُستغَرب فيخوضون فيه - بدافع الكسب المالى والأدبى دون نظر إلى أى اعتبار دينى أو إصلاحى أو أخلاقى .

ومتميزاً عن محترفى الوعظ التقليدى : الوعظ المرتبط بوظيفة معينة لها مفتش وتقرير وترقية واعتبارات لإرضاء المسئولين - دون توفر الانفعال الداخلى .

ومتميزاً فى المنهج : بحيث يكون جامعاً بين المعقول والمنقول - فلا يجحف بحق أحدهما على حساب الآخر - فديننا .. يحترم العقل ولكن لا يؤلهه - ويؤمن بالمنقول الصحيح وإنما يتناوله ببصيرة وتدبر .

---

(١) مع احترامنا للعمامة بطبيعة الحال .

ومتميزاً فى الموضوع : فيختار الأديب الداعية من الأبواب ما يلامس حاجة القراء - ويمس قضايا الحياة .. ويعدل المائل من انحرافات الجماهير - ويكون أسلوبه واقعياً لا خيالياً ، فلا يطالب الآخرين بما يتعذر تنفيذه . أو ما يشق عليهم بالذات .

وفى هذه الحدود يكون المقال .. مثمراً ..

إن اقتحام مجال الصحافة ليس شيئاً عسيراً ، وحتى تلك الصحف التى يصفها البعض بأنها منحرفة الاتجاه - يمكن التعامل معها .. وقد لا يكون العيب فيها ولكن فيمن يعملون فيها - والصحيفة كالآلة .. تحتاج للوقود الدائم فإن كانت مقالتك حاضرة وموضوعها مناسباً ومادتها قوية - فإن فرص النشر تتوفر لك حتماً ، والنجاح يؤدى إلى مزيد من النجاح .

وقل مثل ذلك عن مجالات الإذاعة والتليفزيون ، هذه الوسائل الجبارة .. أهل الحق أولى بها ، ولا يمنع حصول الفشل مرة من المحاولة وإعادة الكرَّة .. وإذا صدق العزم وضح السبيل .

* * *

• النقد :

لا نقصد الانشغال بالنقد الأدبى لذاته - مع تقدير أهميته - لأنه يدخل فى باب الترف العلمى ، ولا وقت لدى الدعاة لهذا وأمثاله .

وإنما نقصد بالنقد - الرد على أخطاء الكتّاب التى تسىء للمفاهيم الإسلامية بأى وجه من الوجوه سواء أكان فى أبواب العقيدة أو فى أبواب العبادة أو المعاملة .

ويتحتم على كل مسلم يعرف واجبه فى النهى عن المنكر ، أن ينبرى للرد على أهل الجهل وأهل الزيغ والضلال ، فإن وقعت عينك على شىء من هذا فتناول القلم والورقة ، واكتب رداً أو عدة ردود - وابعث بها إلى صحيفة تتوقع منها أن تنشر - فإن لم تجد ففى رسالة خاصة .. ولك أن تعلن عن اسمك وعنوانك

أو لا تعلن - المهم أن يصل ذلك التصحيح إلى فاعل الخطأ - أعذر إلى الله تعالى - وهو مقلب القلوب .

أما السلبية - والسكون والانعزال والموات .. أما الاعتماد على الآخرين ممن يسمونهم « رجال الدين » فليس من خُلُق المسلم بحال من الأحوال .

وإذا لم تملك مادة الرد فحرض العلماء أو أهل الاختصاص على أن يتولّوا ذلك عنك - وعندها تكون قد أعذرت إلى الله .

إن سكوت المؤمنين عن إنكار المنكر ، قد أفسح المجال للمقهورين والمتآمرين ليعملوا جاهدين فى هدم حصون الإسلام - والإسلام عزيز - لا ينبغى أن تنهدم داره وأهله أحياء .

*　*　*

التوقيعَات والأمثال

● **أما التوقيعات** : فهى الأوامر التى يصدرها الرئيس المسئول ، ليقوم المرؤوسون بتنفيذها وهى تشبه « التأشيرات » التى يكتبها الرؤساء على الأوراق فى الدواوين اليوم .. إلا أن التوقيعات كانت فى الغالب ردوداً موجزة مستقلة تشتمل على البلاغة والإيجاز ، وأحياناً تشتمل على موعظة رائعة ، تجمل الرأى وتشع بالحكمة وتقطع الجدل .. وأحياناً يعتبر التوقيع خطاباً كاملاً .. وفيما يلى طائفة منها :

● كتب عمر – رضى اللّه عنه – إلى أهل الأمصار (الأقاليم) :

« إنى لم أعزل خالداً عن سُخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فُتِنوا به ، فخفت أن يوكَلوا إليه ويُبتلوا به ، فأحببت أن يعلموا أن اللّه هو الصانع وألا يكونوا بعرض فتنة » .

● وكتب مسيلمة الكذّاب للنبي ﷺ : « من مسيلمة رسول اللّه إلى محمد رسول اللّه .. سلام عليك ، أما بعد .. فإنى أشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون » .

فكتب إليه رسول اللّه ﷺ : « بسم اللّه الرحمن الرحيم .. من محمد رسول اللّه إلى مسيلمة الكذّاب ... سلام على من اتبع الهُدى ، أما بعد ... فإن الأرض للّه ، يورثها مَن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

● وكتب عمر إلى أمير مكة فى عهده : « لا تدع أهل مكة يأخذوا على بيوت مكة أجراً فإنه لا يحل لهم » .

● وكان وهب بن منبه على بيت مال اليمن فكتب إلى عمر بن عبد العزيز :

« إنى فقدت من بيت مال المسلمين ديناراً » .

فكتب إليه : « إنى لا أتهم دينك ولا أمانتك ، ولكن أتهم تضييعك وتفريطك ، وأنا حجيج [1] المسلمين عن أموالهم ولأخسهم [2] عليك أن تحلف، والسلام » .

● ووقّع المهدى إلى صاحب أرمينية – وكان قد كتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه : ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ [3] .

● ووقّع هارون الرشد فى قضية البرامكة : « أنبتتهم الطاعة وحصدتهم المعصية » .

● ووقّع المأمون فى قصة متظلم من أبى عباد : « يا ثابت .. ليس بين الحق والباطل قرابة » .

وهذه مجموعة منوّعة من رسائل مختصرة :

– فى العزاء :

« أما بعد فإن الماضى قبلك الباقى لك ، والباقى بعدك المأجور منك ، و ﴿ إنَّما يُوَفَّىٰ الصَابِرُونَ أجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [4] .

أما بعد .. فإن فى اللّه العزاء من كل هالك ، والخلف من كل مصاب ، وإنه مَن لم يعتز بعزاء اللّه تنقطع نفسه عن الدنيا حسرة (الجاحظ) .

---

(١) حجيج المسلمين : المحامى عنهم .
(٢) لأخسهم : للأقل منهم .
(٣) الأعراف : ١٩٩
(٤) الزمر : ١٠ .

- في الاعتذار :

« أما بعد .. فنعم البديل من الزلّة الاعتذار ، وبئس العوض من التوبة الإصرار » .

- وفى العتاب :

قال أحد الشعراء :

تود عدوى ثم تزعم أننى صديقك إن الرأى عنك لعازب
وليس أخى من ودّنى رأى عينه ولكن أخى من صدقته المغايب

- وفى المتنوعات :

● وقّع الحسن بن علىّ رضى الله عنه :

« حسن السؤال نصف العلم ، ومداراة الناس نصف العقل . والقصد فى المعيشة نصف المؤونة » .

● ورفع أهل السواد بالعراق للخليفة خطاباً فى إتيان الجراد على غلأتهم فوقّع فيها :

« نحن أولى بضيافة الجراد من أهل السواد ، فليُحَط عنهم نصف الخراج » [1] .

● وكتب المأمون يحذر عامله من أحد الخارجين عليه :

« قَلّ طريق سهل تُلقى فيه الحجارة إلا عاد وعراً ، والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة أبداً » ثم استشهد بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [2] .

(١) أى الضرائب الحكومية . (٢) البقرة : ١٤

• وكتب أبو جعفر المنصور إلى عمرو بن عبيد :

« أبا عثمان .. أعنّى بأصحابك ، فإنهم أهل العدل وأصحاب الصدق » .
فوقّع فى كتابه : « ارفع عَلَمَ الحق يتبعك أهله » .

• وكتب رجل إلى وزير المهدى يعتذر ولا يحسن الاعتذار فوقّع فى كتابه :

« ما رأيت عذراً أشبه باستئناف ذنب من هذا » .

* * *

الأمثال والحكم

ويدخل فى هذا الباب – ما يجب أن يعرفه الدعاة من الشواهد والأمثال السائرة .. إذ يتلقاها السامع عادة بالقبول نظراً لما لها من المكانة الأدبية أو الأصالة التاريخية .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة جرت مجرى الأمثال . كقوله تعالى :

• ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِكَكُمُ المَوْتُ ﴾ (النساء : ٧٨) .

• ﴿ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ (الأعراف : ١٧٦)

• ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِىَ لَهُ ﴾ (الأعراف : ١٨٦) .

• ﴿ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضَ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ (التوبة : ١١٨) .

• ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (هود : ٨١)

• ﴿ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ (الرعد : ١٤) .

• ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (الإسراء : ٣٦) .

• ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً ﴾ (الإسراء : ٣٧) .

• ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ (الإسراء : ٨٤) .

- ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِى الْعُمْىِ عَنْ ضَلاَلَتِهِمْ ﴾ (النمل : ٨١) .
- ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ (القصص : ٨٨) .
- ﴿ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (فاطر : ١٤) .
- ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ (فاطر : ١٨) .
- ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر : ٩) .
- ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ (فصلت : ٤٢) .
- ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ (الجمعة : ٥) .
- ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾ (المعارج : ١٩) .
- ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر : ١٤) .
- ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (العاديات : ٨) .

– ومن حديث النبى صلى الله عليه وسلم :

- « إنما الأعمال بالنيات » .
- « الضعيف أمير الركْب » .
- « الدين النصيحة » .
- « لا تجن يمينك على شمالك » .
- « الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ » .
- « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » .
- « خير المال عين ساهرة لعين نائمة » .
- « آفة العلم النسيان » .
- « المرء مع مَن أحب » .

- « زُرْ غباً تزدد حباً » .
- « أحبب حبيبك هوناً ما » .
- « الحياء من الإيمان » .
- « الظلم ظلمات يوم القيامة » .
- « علّق سوطك حيث يراه أهلك » .
- « اعقلها وتوكل » .
- « لا يُلدغ المؤمن من جُحْرٍ مرتين » .
- « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » .
- « اليد العليا خير من اليد السفلى » .
- « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .
- « إذا سرّتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن » .
- « رحم اللّه عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم » .
- « الناس معادن .. خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » .
- « الحكمة ضالة المؤمن » .
- « اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين اللّه حجاب » .
- « رأس الحكمة مخافة اللّه » .
- « الخلق كلهم عيال اللّه وأحبهم إليه أنفعهم لعياله » .
- « جُبِلَت النفوس على حُبِّ مَن أحسن إليها » .
- « رُبَّ مُبَلَّغ أوعىٰ من سامع » .

- ومن الأمثال السائرة :

- تسمع بالمعيدى خير من أن تراه .
- الصيف ضيَّعت اللَّبن .
- رمتنى بدائها وانسلت .
- مُكْرَهٌ أخاك لا بطل .
- أتتك بخائن رجلاه .
- لا ناقة لى فيها ولا جمل .
- إذا عَزَّ أخوك فهُنْ (يُضرب للتواضع) .
- عِشْ رجباً تر عجباً .
- يكاد المريب يقول خذونى .
- على نفسها جنت براقش .
- حسبك من شر سماعه .
- اليوم خمر وغداً أمر .
- سَمِّنْ كلبك يأكلك .
- لأمر ما جدع قصيرٌ أنفه (لتفسير حيلة ما) .
- لو كان يُطاع لقصيرٍ أمر .
- فى المعاريض مندوحة عن الكذب (يُضرب لذكر شىء يُخَلِّص من الحرج وليس بالكذب) .
- المقدرة تُذهب الحفيظة .

- أنفك منك وإن كان أجدع (يُضرب لمن لا يستطيع التخلى عن شىء ولو كان ناقصاً) .
- إذا ضربتَ فأوجع وإذا زجرت فأسمع (يُضرب فى المبالغة وترك التوانى والعجز) .
- إن الجواد قد يعثر (يُضرب لمن تحصل منه الزلّة وهو جيد) .
- إياكِ أعنى واسمعى يا جارة .
- صدرك أوسع لسرك (يُضرب فى الحث على كتمان السر) .
- أضيع من الأيتام فى مأدبة اللّئام .
- طويته على بلاله (يُضرب فى السكوت عن أمر إيثاراً للعافية) .
- الطير بالطير يُصاد (يُضرب فى الاستدراج) .
- والناس من يلق خيراً قائلون له

  ما يشتهى ولأُم المخطىء الهبل
- إن كنت كذوباً فكن ذكوراً (يُضرب لمن يكذب وينسى أن يستر كذبه) .
- أين الثرى من الثريا (يُضرب للفارق الكبير) .
- بعض الشر أهون من بعض .
- تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها (أى لا تكون مرضعة للأطفال أو لا تتاجر بعرِضها) .
- إنك لا تجنى من الشوك العنب .
- كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً   وما مواعيدها إلا أباطيل
- من طلب شيئاً وجده .
- من غربل الناس نخلوه (أى جعلوه نخالة) .

- ندمت ندمة الكسعى لما غدت منى مطلقة « نوار »
- هنيئاً مريئاً غير داء مخامر

لعزة من أعراضنا ما استحلت

- إياكم وخضراء الدمن (فى حُسن الظاهر وقُبح الباطن) .
- إذا زَلَّ العالِمُ زَلَّ بزلَّته عالَمٌ (فى ضخامة مسئولية العلماء) .

* * *

الرسَائِل والتسجيَلات والرّموز

• الرسائل :

قد تكون الرسالة كتاباً صغيراً .. فى موضوع معين .

وقد تكون خطاباً من شخص إلى آخر .

وتدوين الرسائل فن جميل .. قد يساعد على قضاء المصالح وعتق الرقاب من مواقف الموت واكتساب أعظم الأجر والثواب . وقد ازدهرت هذه الصناعة فى العصور الأولى حتى كانت كتابة الرسائل الناجحة ترشح صاحبها لمنصب الوزارة .

ونستطيع بشىء من التوجيه والتدريب أن ننشىء أروع الرسائل .. كما نستطيع أن نرد على رسائل الآخرين بسرعة وكمال .. إذ لا يجوز إهمال الردود (١) .

قال الرافعى رحمه الله : « رسالتك لأخيك هي زيارتك له فلا تجعلها زيارة تافهة » .

وإذا كانت الرسالة خطاباً موجهاً فيراعَى فيه ما يلى :

١ - العناية بالخط والتنسيق وكفاية الورق (فإن ذلك يدل على الذوق والاهتمام) .

٢ - تدوين اسم المرسِل وعنوانه مع تاريخ الرسالة (كل ذلك بوضوح)

---

(١) قال صاحبى : « إننى لا أهمل الإجابة على رسائل الناس خصوصاً إذا حيّانى فيها صاحبى بالسلام .. لأن رد السلام فرض .. شفوياً كان أم كتابة ، وإذا تراكمت علىّ فلن أعدم دقيقة أسطر فيها مثل هذا الجواب : « وعليكم السلام ورحمة الله ، وصلتنى رسالتك وصلك الله وجزاك عن الوفاء خيراً .. وأرجو أن تتهيأ لى المقادير فرصة أوسع لجواب أنسب .. وإلا فمثلك من عذر وستر ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .. أخوك » .

٣ - تفصيل الموضوع - أو المواضيع - بترتيب حسن - دون إلغاز ولا تخليط ولا تداخل (فإن حل اللُّغز أو كشف الشبهة يحتاج لوقت وجهد) فاعف صاحبك من ذلك .

٤ - العناية بالمغلف من حيث شكله وإتساعه وصحة عنوان المرسِل والمرسَل إليه .

وإذا كانت الرسالة رداً فيضاف إليها ما يلى :

١ - الإشارة إلى وصول الرسالة السابقة بتاريخ وصولها مع الاعتذار عن تأخير الرد .

٢ -استيفاء ما يُطلب الرد عليه فقرة فقرة ، ويحسن أن يكون الخطاب الأصلى موجوداً عند الرد .

٣ - الشجاعة فى الاعتراف بالخطأ - مع الدعاء بالخير - والإشعار بالتقدير .

لقد أدركنا بعض العلماء - يعنى بكتابة الرسائل عناية واضحة .. فهو حين يوجه إليك خطاباً كأنما يؤلف كتاباً - عرفت مِن هؤلاء إماماً جليلاً بمصر ، والشيخ محمد الحامد فى الشام وغيرهم - رحمهم اللّه - ولا أزال أحتفظ برسائلهم .. كان الواحد منهم لا يفوته أن يبصرك بجملة أحكام شرعية ، ويصحح بعض المفاهيم التى تروج بين الناس .. ويناقش قضايا تدور فى الذهن، ثم يورد قصة مشوِّقة أو نكتة بارعة .. ويُلفت النظر إلى ظهور كتاب قيم .. ويوصيك بتقوى اللّه تعالى .

وهذه نماذج للرسائل المبسطة البليغة :

● كتب الحسن بن وهب يعزى ابن إسحاق عن ولده :

« الأمير أعلم بالدين من أن يُذكَّر به ، وبالدنيا من أن يُدّل على ماخُلِقَتْ له .. كان اللّه لك فى الدنيا ولفقيدك فى الآخرة . والسلام » .

● وله فى طلب الحق :

« ضع عنى مؤونة التقاضى ، ما وضعت عنك مؤونة الإلحاح ، وحقق الظن فليس وراءك مذهب ولا عنك مقصر » .

● كتب يحيى بن خالد من الحبس إلى الرشيد :

« يا أمير المؤمنين ؛ إن كان الذنب خاصاً ، فلا تعمنى بالعقوبة ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (١) .

● من وصية مالك بن المنذر لبنيه :

« يا بَنِىَّ : قد أتت علىَّ ستون ومائة سنة ما صافحت بيمينى يمين غادر ، ولا طرحت عندى مومسة قناعها . ولا بُحْتُ بسرى لصديق ، وإنى لعلى دين شعيب النبى وما عليه من العرب أحد غيرى وغير أسد بن خزيمة ، فاحفظوا وصيتى : إلهكم فاتقوه يكفكم المهم من أموركم ، وإن موتاً فى عز خير من حياة فى ذل » .

* * *

هذا – ولا ينبغى أن يلجأ الداعية إلى الألفاظ المهجورة بل يعمد إلى غيرها من العذب المتناول والسهل المتبع – وفيما يلى نموذجان من الرسائل الوحشية :

● دخل أبو علقمة على « أعين » الطبيب فقال له : « أمتع الله بك .. إنى أكلت من لحوم هذا الجوازل (٢) فطسئتُ (٣) طسأة أوجعت منى ما بين الوابلة (٤) إلى داية العنق (٥) فلم يزل يربو وينمى حتى خالط الخلب والشراسيف (٦) فهل عندك دواء » ؟

---

(١) الأنعام : ١٦٤ ، الإسراء : ١٥ ، فاطر : ١٨ ، الزمر : ٧
(٢) الجوازل : أفراخ الحمام . (٣) طسئت : أتخمت .
(٤) الوابلة : طرف العضد . (٥) داية العنق : فقرة العنق .
(٦) الخلب والشراسيف : حجاب القلب ورأس الضلع .

فقال له الطبيب : نعم خذ خريقاً [1] وشلفقاً وشبرقاً فزهزقه وزقزقه واغسله بماء روث واشربه » .

قال المريض : « إنى لم أفهم منك » قال الطبيب : « ولا أنا » .

● مرضت أُم لأحد الأعراب - فكتبت على باب المسجد العبارة الآتية :

« صين امرؤ ورُعِىَ ، دعا لامرأة انقحلة مقسئنة ، قد مُنِيَت بأكل الطرموق فأصابها من أجله الاستمصاء ، أن يمن الله عليها بالاطرغشاش والابرقشاش » [2] .

*

● وأما رسائل البحث العلمى :

فإنها تحتل مكانة ممتازة فى نشر العلوم والفنون - بالنظر إلى ما تشتمل عليه من فوائد ملخصة موجزة خفيفة المؤونة ، وهى مع ذلك نتاج بحث طويل أو ثمرة تجربة نافعة وهناك كثير من الدعاة شغلتهم الرحلة عن جلسات التأليف الطويل فدوَّنوا رسائلهم فى حدود الظروف العسيرة التى عاشوها .

فعندما سُجِنَ « أحمد بن تيمية » أكثر من الكتابة فعاقبوه بمنع الورق والقلم عنه - فكان يستعمل بقايا الفحم فى تدوين رسائله على جدران السجن .. وقد تحقق أمله بعد وفاته ، فأصبح المنقول من هذه الرسائل شيئاً كثيراً حُفِظَ ضمن تراثه الكبير . وعلى كل حال ، فإن صاحب الدعوة المشغول بها ينتهز كل فرصة لتبليغها .. كما قال الله تعالى لنبيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [3] .

* * *

---

(١) الخريق والشلفق والشبرق : أنواع من النباتات البرية .

(٢) أى صان الله امرءاً دعا لامرأة عجوز شمطاء ابتليت بأن أكلت خفاشاً فسبب لها ذلك إسهالاً - لعل الله أن يمن عليها بالشفاء والعافية .

(٣) المائدة : ٦٧

- **الرسوم :**

ليس التعبير ملكاً للخطباء دون الكُتّاب ، ولا هو للكُتّاب دون الفنانين والشعراء ، فالتعبير عن المشاعر يبدو فى صور شتّى .

وكثيراً ما تستوقف الإنسان تلك الخطوط « الكاريكاتيرية » التى تُرسم فى بعض الصحف وتحتها كلمة أو جملة هى فى الواقع أبلغ من مقالة طويلة .. وأكثر تشويقاً وأسهل تناولاً .

وكما أنهم يعُرَفِّون البلاغة بأنها « ما قل ودل » أو بجمال اللّفظ ودقة المعنى ، فلا شك أن هذه التعبيرات الرمزية كثيراً ما تدخل فى باب البلاغة ، وفيها قوة التأثير ، فنوصى الدعاة بالإلمام بمغزاها حين يلتقى كل ذلك مع وجهات النظر الخيِّرة .

* * *

- **التسجيلات :**

وقد أدركنا فى العصر جملة من المخترعات الحديثة يمكن أن يُستعان بها فى نشر الدعوة أيضاً ، كما نشأت أقسام للتسجيلات الصوتية فى معظم المكتبات العالَمية ، ينتفع بها المكفوفون وضعاف البصر والمتعَبون والمتعجلون .

وقد أعانت المخترعات الحديثة على سهولة التسجيل ، ومضاعفة النسخ . وأصبح من الميسور تسجيل القرآن الكريم كاملاً بتلاوة جيدة على قرص واحد من أقراص التسجيل يحمله المرء فى يده أو يرسله إلى أى مكان بعيد .

وفى إحدى المكتبات رأينا موظفاً لا يترك زائراً غريباً يمر بالبلاد إلا سجَّل له حديثاً عن أحوال بلده ، ذلك لأن الصحف ووسائل الإعلام ووكالات الأنباء ، ليست مصدراً كافياً للمعرفة الدقيقة فى كل الأحوال .

يستطيع الداعية إذن أن يُسَجِّل بعض سور القرآن الكريم بتلاوته هو لأبنائه ، وأن يُسَجِّل بعض البحوث أو المحاضرات ثم يبعث بها لتُسْمَع فى أماكن أخرى .

ويعمد الكثيرون لتسجيل النصائح القيمة ، والوصايا والندوات العلمية ، وإعادة عرضها ، كما تفعل الإذاعات المسموعة والمرئية . وكل ذلك معلوم ومشهور .

وإنما وجبت الإشارة إليه استيفاء للبحث فى هذه العُجالة .

* * *

مختارات

● إن إتساع نطاق العلم شيء ، وتحقيق السعادة به شيء آخر .

● إن الحروب تتبعها مصائب كثيرة - كخراب الذمم والكفر بالقيم وهذا ما جعل (تلك البلاد) (تحمل) حملها من الأفكار الضارة ثم (تضعه) في ديارنا .. كالوليد المشوَّه .

● كان الدين حصناً منيعاً للمجتمعات التي آمنت به .. وآمنت بضرورته لها ، فلما فقد الشباب مناعة الدين ، انهاروا لأنهم وقعوا صرعى فساد التوجيه ، وضعف حصون المناعة .

● الواقعون في الملَّذات واقعون في الوهم أيضاً - لأن آلامهم كثيرة وخسائرهم أكثر ..

● الحلال ممتع وميسور ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ ﴾ (١) .

● الذين لا يؤمنون بالله ، مصابون ببلايا لا حصر لها من السأم .. والقلق .. والحيرة .. واليأس .. وانقطاع الأمل .

● الجيل الخائب يكرهنا ولكنا نشفق عليه - فنحن ندعوه إلى السلام والطمأنينة وهَدى النبوَّة ، وهو يندفع ركضاً وراء صراع الطبقات وباقي المهلكات .

● ليست صنعة إصلاح في أن تقول للمخطيء إياك والخطأ ، ولكن المهارة أن تهييء له مجتمعاً ، أو ترسم له طريقاً يُعينه على الصلاح .

(١) الأعراف : ١٥٧

● المذنب لا يجهل حاله - وإن كابر فيه - ولذلك فإن النصح أبغض شيء لديه ، لأنه كشف للعورة التى يحاول سترها ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (١) وكأنه يقول لنا : « لا تجرحوهم .. وارحموهم .. لينقادوا لكم » .

● هناك مشاكل يحلها الرجل الشجاع ، ويعالجها العاقل الحكيم ، وهناك مشاكل : كالغرق ، والحريق .. وانهيار المجتمعات أخطر من انسياب الماء والنار ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (٢) .

● ليس أهلاً لمعرفة الحقيقة مَن تتلمذ على الصحف والإذاعات ، إن العلم يختلف كثيراً عن « الإعلام » .

● إذا ضعفت الشخصية .. أو ضعفت الصحة - مال صاحبها إلى الهرب من المسئولية - وركن إلى السلبية .

● قولوا للناس : « مَن عجز عن البناء .. فلا ينشغل بالهدم .. اتركوا البنّائين يعملون ، واتركوا الورعين على ورعهم لا تستهزئوا بهم .. فهم نماذج مطلوبة .. لأن الأكثرية تسير فى طريق الانحدار » .

● الحب فى الله يوفر الزمن كما يوفر الثقة - وتلك ثروة هائلة .

● إن كثرة القوانين فى بلد ما ، تدل على قسوة الحاكمين أو انحراف المحكومين أو سوء ظن بعضهم ببعض ، لقد طلب عمر بن الخطاب أن يقيله أبو بكر من وظيفة القضاء لأنه جلس سنة كاملة لم يتقدم إليه اثنان فى خصومة .

● من الكياسة أن نفترض أن رأى المعارض لك باطل يحتمل الصواب وأن ما تراه حقاً يحتمل البطلان .

---

(١) النحل : ١٢٥ (٢) البقرة : ٢١٧

● إذا ضعفت صلة العبد بالخالق ، ذهب يلتمس الوسيلة إلى النجاة بالمخلوقين ، وقد نهى الله عن ذلك بقوله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (١) .

● إن الذى يتولّى القضاء والمصالحة لا بد له من موقف يُغضِب فيه أحد الفريقين .

● فى المشاكل العائلية تسيطر العواطف على القضايا ، ولذلك ليس المطلوب فيها هو الحق وحده . بل مع الحق العاطفة .

● لماذا يتعرض الناس لأمراض القُرحة وضغط الدم والنوبات نتيجة للعداء والخوف ، ثم يعجزون عن توفير الخير لأنفسهم ولغيرهم بالمحبة والثقة ؟

● بعض الناس يخجل من الإيمان ومن ارتباطه بالمؤمنين ، ولكنه لا يخجل من أن ينتحر حين يفقد الإيمان ، أو حين يضل عن إيجاد حلول لمشاكل حياته .

*

● أخطاء الإنسان الستة كما قالها شيشرون :

١ - الإعتقاد بأن التقدم الفردى يقوم على سحق الآخرين .

٢ - القلق بشأن الأمور التى لا يمكن تغبيرها .

٣ - الإصرار على أمر مستحيل لأننا أخفقنا فى القيام به .

٤ - التمسك بالأفضليات القائمة على أساس شخصى .

٥ - إهمال تطوير العقل وتثقيفه .

٦ - محاولة إجبار الآخرين على تقبل معتقداتنا فى الحياة .

*

(١) البقرة : ١٨٦

● لا تبالغ فى الثقة بقدرتك على صياغة العبارات الإنشائية ، فإن المدارس قد خرَّجتْ عشرات الآلاف من أمثالك فى نفس العام .

ولا بد لك من أن تقرأ قبل أن تكتب ، وإذا لم تكن لديك أفكار جديدة فلا تكتب ولا تخطب ، وتصدَّق على الناس بالصمت .

● للإحصاءات أهمية كبيرة فى فهم الواقع والإقناع به ، وأحياناً يكون مجرد سردها قاطعاً للجدل .

● لقد ظهرت نظريات جيدة فى علم الاجتماع ، والإلمام بها يجعلك أقدر على التوجيه ، وتقديم العلاج الصحيح ، كما تفيدك دراسة علم النفس والمنطق فى فهم حركات الناس والإشراف على المجتمع من القمة .

● لقد كفر كثير من الناس بالقديم ، ولم يتعرفوا على جديد يستأهل أن يؤمنوا به . وفيما بين هذين الطرفين - يوجد مكان للدعاة ومن هنا تنشأ مسئوليتهم الكبيرة .

● ولا سبيل إلى تغيير آراء الآخرين إلا بحجة قوية تفرض نفسها ، ولذلك فادع ، وله فجاهد .

* * *

الفصل الرابع

الدّعَوة بالقُدَوة

- الداعية فى نفسه .
- فن التربية الدينية .
- أهمية العمل الجماعى .
- نماذج .

● الداعية فى نفسه :

يلاحظ الباحث فى سير الدعاة أنهم كانوا أكثر تأثيراً فى الناس بسلوكهم وثبات أخلاقهم على كل الأحوال .

وعين الجمهور فاحصة ..

ومنطقة الأفعال أقوى فى الإقناع .

ثم إن العناصر الخيِّرة قليلة نادرة فى سائر المجتمعات ، فما يكاد العامة يرون نموذجاً جيداً حتى يسارعوا إلى الالتفاف حوله والتعلق به .

ومشاعر الجماهير أشبه بالماء فى اكتساب الحرارة وفى فقدها - فهى تتحرك ببطء - ولعل هذا هو التفسير التاريخى لما لقيه الأنبياء والمصلحون فى شتّى العصور ، ومع سائر الأمم - عندما سمعوا الحق فأعرضوا عنه - وكذّبوا به - وكفروا بما جاءهم من العلم - وارتدوا على المصلحين بالإيذاء والاضطهاد - مصداق قوله تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (١) وكان فارق الوقت أو فارق

---

(١) البقرة : ٨٧

الإدراك هو المشكلة دائماً ، فبعد أن مات الدعاة والمرسلون – أدرك الناس خطأهم .. فعرفوا وندموا .. وشرعوا فى تمجيد « الضحايا » – واتخذوا فى ذلك طرائق شتّى – للتكفير عن الخطأ – حتى بالغوا فيهم – ورفعوهم أحياناً إلى درجة الألوهية – فوقعوا بذلك فى غلط جديد .

نقول إن القدوة الحسنة لا يساويها شىء فى حسن التأثير ، فالكلام – والبراعة فيه – صنعة سهلة يجيدهـا الخيِّرون كما يجيدها المشعوِّذون والكذّابون على السواء . ويعرف سبيلها المخلصون والمنافقون جميعاً – قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ ﴾ (١) .

وأول ما يجب أن تنصرف إليه همة الداعية هو إصلاح نفسه وتعهدها بالتدريب والتهذيب – فإن آنس خيراً أمكنه أن ينطلق برسالته إلى الآخرين .

ولقد كان مما تعلمناه فى مدرسة الدعاة : « أصلح نفسك وادع غيرك » – والذى نحاوله من تفصيل فى هذا الباب لا يخرج مطلقاً عن هذا النطاق .

وثبات المرء على سلوك فاضل يجعله فى عِداد الفضلاء . كما أن الحكم على شخص ما ، يكون بغالب حالاته سواء أكانت خيِّرة أو شريرة ، ومن الظلم الواضح إصدار الأحكام على الناس بالتصرفات العابرة فتلك الأحكام قد بُنِيَت على استقرار ناقص – ولهذا حرَّم اللّه الغيبة – وأمر بالنصيحة والمواجهة .

ولا يستحق اسم « الداعية » إلا مَن كان صالحاً لهذه الوظيفة الربانية بأخلاقه وتخلقه جميعاً ، كما يقول اللّه تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٢) .

فالداعية إنسان مجهَّز تجهيزاً خاصاً ليقوم بمهمة شاقة دقيقة كتلك التى دعا بها الأنبياء والمرسلون .. فما أعظمها من رسالة .. ! وهذا لا يمنع أى إنسان

---

(١) البقرة : ٢٠٤ (٢) فاطر : ٣٢

يعرف الخير والحق من أن يقوم بتبليغه والدعوة إليه .. إنما نقصد بـ « الدعاة » أولئك الذين غلبت فكرة الدعوة على حياتهم أو كانت مهنة لهم .

وفيما يلى بعض ما يجب أن يتحلّى به الدعاة :

(أ) العفة والإيثار

ينبغى أن يتعفف الداعية عما فى أيدى الناس .. ليظل عزيزاً مرفوع الرأس ، قادراً على أن يقول ما يريد وأن يبلغ ما يلزم إبلاغه دون أن يحمل منّةً فى عنقه لأحد ، تجعله مغلول اليد أو مغلول اللّسان .

وبقدر ما يستطيع الداعية أن يحقق لنفسه من العفة والورع بقدر ما يكتسب من تقدير وقدرة وإمكانية .

ويجمل بالداعية أن ينأى بنفسه عن أية نزعة ذاتية أو أنانية . بل يكون غيرياً مؤثراً للمصلحة العامة على مصلحته الخاصة ، بل مؤثراً لصوالح إخوانه على صالح نفسه وذويه ، ولقد كان رسول اللّه ﷺ مثالاً فى هذا الإيثار .

فعن أبى سعيد الخدرى - رضى اللّه عنه - أن ناساً من الأنصار سألوا رسول اللّه ﷺ فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى إذا نفد ما عنده قال : « ما يكن عندى من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعف يعفه اللّه ، ومن يستغن يغنه اللّـه ، ومن يتصبر يصبره اللّه ، وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر » (رواه مسلم) .

* * *

(ب) التسامح وسعة الأفق

ويمتاز الداعية بروح التسامح ، لعلمه أن « كل ابن آدم خَطّاء » وأن اللّه يقبل التوبة عن عباده ، فكيف لا يقبلها العباد بعضهم من بعض « والاعتذار توبة » - ثم إن مهمة المصلحين هى إثارة المحبة والتعاطف بين الناس عامة لتجميع القلوب فضلاً عن لزومها بين خاصة الصالحين لتقوية الصف المؤمن .

وقضية الخصومة والنزاع ، إنما تنشأ فى الواقع من المبالغة فى الاعتداد بالكرامة الشخصية ، مع ضيق فى التصور أو خطأ فى الفهم ، لهذا كان أسلوب الدعاة فى القضاء على أسباب الخصومة والفُرقة يقوم على اعتماد التسامح وسعة التصور لجوانب القضايا بين الناس ، وقديماً قيل : « التمس لأخيك من عذر إلى سبعين عذراً ، فإن لم تجد . فقل : لعل له عذراً لا أعرفه » .

والدعاة فى سعيهم للهدف الكبير لا بد لهم من التغاضى عن الأمور الصغيرة التى تنشأ فى الطريق أثناء المسيرة ، قال الله لنبيه عليه السلام : ﴿ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (١) .

وقال لجماعة المسلمين : ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ (٢) .

والعاقل لا يُضَحِّى بالآلة الكبيرة النافعة لأن بعض مفاتيحها قد أُصيب بعطب ، بل يجتهد فى إصلاح هذا العطب حرصاً على تلك الآلة . وإن العناصر الجيدة النافعة فى الأمة نادرة قليلة العدد ، فيلزم الصفح عن زلأتهم العارضة ، رجاء نفعهم الطويل ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ ﴾ (٣) .

إن الدعوة الإسلامية تجمع ولا تفرق ، وتزرع الحب وتطرد معانى البغض ، وتضحى بالقليل حرصاً على نيل الكثير .

فمَن فهم تلك المعانى وتشربتها نفسه قولاً وعملاً فعسى أن يكون من المهتدين .

* * *

(جـ) الاستعداد للتضحية

والداعية ، رائد يسوق الناس إلى البذل والتضحية ليتم بذلك التعادل المطلوب فى كل مجتمع بين الفقر والغنى وبين القوة والضعف وبين العلم والجهل وبين العافية والمرض .

فيلزم أن يكون قدوة فى التضحية أيضاً :

---

(١) الأحزاب : ٤٨ (٢) آل عمران : ١٠٣ (٣) آل عمران : ١٥٩

● يضحى بالكثير من وقته : والوقت ثمين لأنه هو الحياة .

● ويضحى بماله : قلّ أو كثر ليواسى أصحاب الاحتياجات ويسد الثغرات .

● ويضحى باحتمال ما يتوقع من أذى : فى النفس والبدن ، لقوله تعالى للأنبياء : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذىً كَثِيراً ، وَإِنْ تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (١) ، ومن المؤسف أن حرص الناس على تفادى هذا الأذى يمنعهم من تقدير الخير .

● ويضحى بما يرجو من نفع : حيث كان تعامله مع الله سبحانه وتعالى ، وهو مالك النفع والضرر ، وقلوب العباد بيده فهو لا يحرص على أى عرض زائل ، بل يرجو ما عند الله .

● وأخيراً يضمر التضحية بروحه فى سبيل الله ، ويطمع فى أن يرزقه الله الشهادة فعلاً ويدعو الله ويلح فى الدعاء أن يبلغه الله منازل الشهداء ، وإذا تم له ذلك بورك سعيه ، وارتفع شأنه ، واستطاع التأثير فى غيره .

* * *

(د) الصلة بالعاملين الصالحين

ومما يميز الدعاة فى سلوكهم الخاص ، حرصهم على التعرف على إخوانهم العاملين فى ميدان الدعوة ، ودوام الصلة بهم ، وزيارتهم والإحاطة بجملة أحوالهم ..

ومعلوم أن هذا التعارف - بصورته العامة - إنما هو من أسرار الوجود ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ﴾ (٢) ولكنه لازم بالنسبة للمجموعات المتجاورة أو المتعاونة ، وهو أشد لزوماً بالنسبة للدعاة إلى الله تعالى .

---

(١) آل عمران : ١٨٦ (٢) الحجرات : ١٣

فإذا تصورنا عشرين عالماً فى بلدة واحدة لا يلوى أحد منهم على أحد ، ولا يلتقون ولا يتعاونون ، فما عسى أن يكون النفع منهم لهذا البلد ؟ إنهم ولا شك سيكونون محلاً للنقد الشديد من عامة الناس ، لأن وضعهم هذا مناقض تماماً لما يدعون إليه ، ومناقض لما تنزلت به آيات الله .

وأسباب الصراع بين العلماء كثيرة ، ولكن أولياء الله هم الذين لا يعبأون بالمظاهر ، ولا بما يُلقيه الشيطان فى أمانى الجاهلين ، وهم الذين لا يحملون ضِغناً ولا يهجرون إخوانهم لكبير أمر ولا لحقيره ، ولا زلت أذكر أننى كنت بمجلس الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله فى مصر فجاء على ذكر رجل اسمه سليمان الندوى من علماء الهند فقلت : لعله « أبو الحسن الندوى » ، فنظر إلىَّ متعجباً وقال : « كيف تكون منشغلاً بالدعوة ولا تعرف الداعية الكبير الشيخ « سليمان الندوى » رحمه الله ؟ اذهب وتعرف على من يعملون معك فى نفس الميدان . فإن ذلك من مستلزمات نشر الدعوة » .

وكان هذا قبل أربعين عاماً ، واليوم أرانى مع أربعة من المشايخ فى قرية واحدة ، ربما أزورهم حياءً من الله ، ولكن أحداً منهم لم يزرنى منذ عامين .

أيها الدعاة العاملون لله ، تناسوا ما يكون بين عامة الخلق من صراع الشخصيات واستعراض الوجاهات ، فهذا كله من الدنيا ﴿ كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (١)

* * *

---

(١) آل عمران : ٧٩

فن التربية الدّينية

● التعليم : هو تقديم المعرفة للآخرين .

● والتربية : هى تدريب العقل والعاطفة وسائر الطاقات الإنسانية على مسلك معين .

ولا يستطيع الداعية أن يعمل خارج هذا النطاق ، فهو إما معلم وإما مرب لجميع طبقات الأمة بمعنى من المعانى .

ولما كان للدين اتصال مباشر بسائر العلوم الكونية ، لتفسير أسرارها والاستفادة منها ، كان لا بد من الاهتمام بتلك العلوم والعمل على ربطها دائماً بخالقها وخالق هذا الكون .

إن الدين روح وتأثر – ولذلك يجب أن تهدف دراسته إلى إشاعة روح التدين فى الطلاب – حتى يتأثروا به فيما يفعلون وما يتركون من شئون الدنيا ، ويحبون اللّه ورسوله . فقد يحفظ الطالب علوم الدين وينجح بها فى الامتحان أو لا ينجح ، ولكنه يكره الدين ومعلم الدين وسائر المتدينين .

وهذه جريمة ولا شك . يتحمل المعلم المسئولية عنها ، لأنه إن كان قد حرص على زرع علم الدين ، فهو لم يعبأ بزرع التدين فى تلاميذه .

● ويجب أن يتحدث المعلم فى هذا الدرس بقلبه ولسانه وأن يكون موقناً بما يقول ، ليتوفر جو الرهبة والخشوع والوقار لدرس الدين ولمن يقوم بتدريسه أيضاً .

● وأن يعرض الدين بجوهره وروحه السمحة بعيداً عن إثارة الخلافات والتزمت والانشغال بالقشور .

● وأن يأخذ على نفسه الالتزام – سلوكياً – بما يدعو التلاميذ إليه ليكون « مثلاً » يُحتذى فى نظرهم . وإلا كان صداً عن سبيل اللّه وكان متعرضاً لمقت اللّه وسخط الناس .

● وأن ينأى بتلاميذه عن روح الحقد والتعصب فى ظل الدين للاستعلاء على الآخرين (ولا مانع من التعصب للدين بمعنى حمايته والاعتزاز به) وأن يزرع الرحمة والمحبة فى قلوبهم - فالدين دعوة للأخوة العامة وعلاج لأمراض النفوس البشرية .

● وأن يربط تعاليم الدين وأحكامه بالحياة الواقعية وذلك عن طريق ضرب الأمثلة المستمَدة من الواقع الذى نعيشه - وليس الخيال البعيد .. وما أحسن وصف الله تعالى لمهمة النبى ﷺ فى قوله : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

● ويلزم فى النصائح أن تكون قليلة ومفهومة وممكنة التنفيذ غير مصطدمة بحاجات الآخرين الضرورية .. فالوالد أو المعلم الذى يظل يلقى على ولده أوامر تقيده فى كل حركاته وسكناته وتشعره بالذل والحرمان ، يجعل منه عدواً لهذا الدين لا يُنتظر منه إلا رد الفعل إلى العصيان وسوء السلوك .

● وحرية الفكر تختلف عن حرية الكفر ، فالناس فى نظر الإسلام معسكران ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ (٢) .

فالكافر المحارب - أى الذي يعلن العداوة للإسلام ويحارب أهله - : حكمه معروف - عدو دائم - نحاربه كما يحاربنا .

والمعاهد : إنسان غير مؤمن بالإسلام لكنه زميل فى الوطنية له حقوق المواطن ما دام حافظاً لعهده - الذى أُعطى له أو لأجداده - وخوّله أن يعيش مع المسلمين .

والمؤمن : مرتبط بما ارتضاه وشهد به من رعاية حق دينه ومعتقده ، فإن خرج على ذلك وارتد عن الدين وشروطه فليس له إلا السيف - ويعتبر إفساده لعقائد المسلمين من قبيل التناقض الخطير غير المقبول .

---

(١) الأعراف : ١٥٧ (٢) التغابن : ٢

● والقيم الأساسية فى الدين هى الجوهر الثابت الذى لا يقبل التبدل ولا التطور .

– وهى الإيمان بالله تعالى .

– وباليوم الآخر والملائكة والقَدَرْ .

– والإيمان بالنبيين عامة والتصديق بالنبى محمد ﷺ وبالقرآن الكريم وسائر أحكامه والخضوع لأوامر الله ورسوله .

– والتجمل بمكارم الأخلاق والبعد عن الرذائل والمعاصى ، أما ما سوى ذلك فإنما يدخل فى باب التأويل والاجتهاد وهو بالتالى عرضة للمناقشة والبحث وتقدير الظروف .

● وعندما ظهرت الحركة الإسلامية فى العصر الحديث كان لا بد لها من إتباع أسلوب التنبيه للدين بشكل عام والدعوة لتجميع الناس على مبدأ التمسك بالشريعة وعدالتها ، وتزيين ذلك للناس .. لكنه بعد أن تنبهت قطاعات كبيرة فى عدة مجتمعات لهذه المعانى ، أصبح التوقف عند هذه التعميمات والاقتصار عليها دون التوسع فيها ، يُعَدُّ ضرباً من الكسل الفكرى وتحصيل الحاصل ، والهروب من المسئولية التى تفرضها المرحلة الجديدة ، التى تستوجب البحث فى التفاصيل وتقديم الحلول العملية لعلاج المشاكل بأدوية الدين .

* * *

العناية باللُّغة العربية

هل كان من باب المصادفة أن يختار اللّه سبحانه - اللُّغة العربية - من آلاف اللُّغات لتكون هي أداة التبليغ لرسالة الإسلام ؟ إنه يؤكد هذا القصد الإلٰهي مع مبرراته في مثل قوله تعالى : ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢) فهناك ربط دائم بين اللّسان العربي وبين الإبانة والإيضاح وسهولة الاستيعاب لحركات العقل البشري .

إنها لغة جميلة – سهلة التركيب – رائعة الإيجاز نطقاً وكتابة ، إنها من أقدر اللُّغات في التعبير عن المعاني الدقيقة ومن أقدر اللُّغات على استيعاب كل العلوم والفلسفات ... وما أجمل قول حافظ إبراهيم على لسان اللُّغة العربية :

أنا البحر في أحشائه الدُّرُّ كامن ... فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي
وسعتُ كتاب اللّه لفظاً وغاية ... وما ضِقتُ عن آيٍ به وصفاتِ
فكيف أضيقُ اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعاتِ

إن نظرنا إلى التاريخ الماضي مع دراسة للحاضر ، نجد أن أعداء الإسلام كلما أعياهم صرف المسلمين عن دينهم – عمدوا إلى قطع علاقتهم بهذه اللُّغة العربية - فلا تلبث أن تجف منابع المعرفة والعاطفة التي تربطهم بالأمم الإسلامية ويصبح من السهل على أي غاز أو مستعمر أن يجرفهم في أي تيار فاسد .

نعم .. لقد أصبحت الملايين العديدة في آسيا وإفريقيا مبتوتة الصلة بالإسلام ، وإن بعضهم ليعجز عن النطق بالشهادتين ، بل إنه ليعجز عن رد السلام على مَن يُسَلِّم عليه من إخوانه المسلمين .

---

(١) الزمر : ٢٨ — (٢) النحل : ١٠٣

ومن أجل ذلك نوصى الدعاة بالعناية باللُّغة العربية - وعدم الاستسلام للهجات العامية - ولا يكون استعماله للعامية إلا حيث يتعذر التبليغ بغيرها - كعلاج مؤقت يسارع الداعية إلى العدول عنه فى أول فرصة . فلا تكون أسلوباً معتمداً ولا طريقة دائمة ، وليذكر قوله ﷺ : « ألا أن العربية اللّسان .. ألا إن العربية اللّسان » .

وعندما كان المد الإسلامى سارياً ، كانت اللُّغة تمتد كالظلال أمام الفتوح ، وكانت الشعوب تتشرف بتعلمها والتخاطب بها ، ثم جاءت العصور المظلمة - عصور الضعف والاستعمار ، فصار الناس يسارعون فى تعلم لغة الفاتحين . أو كانت تلك اللُّغات تُفرَض عليهم فرضاً من جانب المستعمرين .

ثم عادت دورة الحياة فتقلّص ظل الحكم الأجنبى البغيض ، وأصبح واجباً علينا أن نعمل جاهدين على إحياء مجد اللُّغة العربية تمهيداً لإحياء مجد الإسلام .

ولقد قامت كثير من الدول بخدمة لغاتها باختيار الكلمات السهلة النطق والإملاء - الكثيرة التداول - فجعلوا منها مختارات تُدرَس بكل وسائل التعليم والإعلام الحديثة ، وحبّذا لو قام المسلمون بمثل ذلك خدمة لهذه اللُّغة المعجزة التى نزلت بها شريعتنا الغرّاء بدلاً من أن يسارعوا فى تقديم دروس اللُّغات الأجنبية فى الإذاعات والتليفزيونات العربية والإسلامية .

* * *

أهمية العمل الجماعى

(أ) الخدمات الاجتماعية :

ربما يرى بعض المفكرين أن عملية الدعوة إلى الله لا ينبغى لها أن تنشغل بالخدمات الاجتماعية إذ كان ذلك من غير اختصاصها ولا هو أساساً من وظيفتها ..

وهناك بعض الجماعات الإسلامية تحارب فعلاً فكرة الاتجاه بالدعاة إلى المشاركة فى تلك الخدمات .. ويرون أن خير ما يجب أن تُكَرَّس له الجهود هو الوصول إلى الحكم ، وإقامة الدولة الإسلامية بالمعنى الصحيح ، ومن تلك القمة يبدأ الإصلاح ..

ويقولون فى تدعيم هذا الرأى : « إن تقديم مثل هذه الخدمات يُكَرِّس حكم الظالمين المجانبين لأحكام الله ، ويطوِّل عهودهم الفاسدة ويرمم صدوعها فيجعل إقامة الدولة الإسلامية بعيد المنال » وهذا كلام لا يخلو من حق .

ولكن يرد غيرهم على هذا الزعم قائلين :

● إن الله تعالى ندب المسلمين جميعاً لفعل الخير على طول خط الحياة بصرف النظر عن الأحوال التى تطرأ على الأشخاص والدول ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ارْكَعُواْ وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

● وإن للناس حاجات وضرورات مُلِحَة - لا يجوز للدعاة أن يتركوها بدون علاج إلى أن تقوم دولة الإسلام .. ومن ذلك إطعام الجياع وعلاج المرضى وتعليم الجاهلين وإرشادهم وإشاعة الحب والمرحمة بين الناس .

---

(١) الحج : ٧٧

● وقد تُستنفَد أعمار وتمضى عشرات السنين والقرون دون تحقيق أحكام الشريعة الغرّاء ، وإذن تصبح الحياة جافة تفقد جمالها وخيريتها ، إذا توقفت قوافل البر والخدمات .

ولهذا يلزم أن يُسهم الدعاة فى الخدمات الاجتماعية على أنها واجب وأنها من الوسائل إلى إنجاح الدعوة العامة .

وقد أنشئت أجهزة حكومية للخدمات الاجتماعية فى معظم الأقطار ، وهى توجه عناية لا بأس بها للخدمات العامة ، ويستطيع الدعاة أن يتعاونوا فى هذا المجال ، ومنها :

- لجان تعمير المساجد
- لجان المصالحات والزيارات
- لجان الإرشاد الاجتماعى
- لجان الزكاة والإحسان
- جمعيات التعاون
- رعاية الطفولة المشردة
- أقسام مكافحة الأمية
- أندية الرياضة والكشافة
- مراكز التأهيل المهنى
- رعاية المعوَّقين والعجزة
- الجمعيات النسائية
- أقسام تحفيظ القرآن الكريم

وغيرها من ميادين العمل الاجتماعى النافع البنَّاء ، فعلى الدعاة أن يكونوا على اتصال عملى بها ما داموا يريدون وجه الله بشرط أن تظل هذه النشاطات بعيدة عن المحظورات الشرعية .

(ب) إقامة المنشآت الخيرية :

وهى تندرج تحت الباب السابق لكن لها طابعاً إنشائياً تعميرياً ، ومن ذلك :

- بناء المساجد والمدارس والمستشفيات .
- تأسيس المصانع ومحطات الإنارة ومضخات المياه للصدقة .
- إنشاء معاهد التعليم وجمعيات التعاون المختلفة .
- إنشاء دور الدعوة ودور الضيافة العامة ونحوها .

ومعلوم أن الخدمات الاجتماعية ليست غاية فى ذاتها ، إنما هى وسيلة لترقية المجتمع وتخفيف آلامه حتى يتمكن من استيعاب دعوة الحق والسلام .

* * *

• المظهر العام :

لا ريب أن المظهر النبيل ، الذى يتمثل فى مجموعة العادات والتقاليد الحسنة له أثر طيب فى الحكم على الدعوات ، ومن ثَمَّ فهو يؤثر فى مسيرتها ..

وحبَّذا لو استطاع المثقفون أن يُنشئوا بيئات متكاملة ، تكون فى مظهرها العام تطبيقاً لتعاليم الإسلام بقدر الإمكان . وهذا ما دعانا إليه القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ (١)

ولقد ظل هذا الأمَل يداعب عقول كثير من المفَكرين عبر القرون ، حين كتبوا « المدينة الفاضلة » و « المجتمع المثالى » وتخيل الفلاسفة قيام مجتمعات صناعية فاضلة أو مثالية ..

ولا تزال كل دولة تقوم بمثل هذه المحاولات ، ولكن على طريقتها الخاصة ، لا على ما يريده الإسلام ودُعاته .

ونحن نقول : إنه إذا تعذر قيام مثل هذه التجمعات العامة لأسباب كثيرة ، فلا أقل من التواصى بالتزام خطة متماثلة بصورة اختيارية فردية بين الدعاة ومَن يطيعونهم ، فى مختلف شئون الحياة تشمل :

- آداب السلوك ، وقواعد اللّياقة .
- آداب الزواج والمعاشرة .
- آداب الترفيه والحفلات والأسفار .
- آداب المعاملات والتجارة والأخذ والعطاء .
- تجهيز البيوت وتصميم الأزياء .
- طرائق التربية والتعليم المنزلى أو الخاص .

ونحن نهيب بالعلماء والمتخصصين وأصحاب الفنون أن يقدموا لنا بعض النماذج الصالحة التى يقاس عليها فى المجالات الآنفة الذكر ، عن طريق التأليف والرسم والتمثيل حتى يجد الباحثون شيئاً جاهزاً مدروساً يمكن تطبيقه والأخذ به .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

نماذج من التربية بالقدوة

– عرفنا فى مصر شيخاً ممن يُقتدى بهم .. كان من عادته أن يلتقى بتلاميذه من الشباب فى رحلات تستمر يوماً أو بعض يوم ، فإن لم يتيسر ذلك ففى لقاءات داخل المدينة .

● يُصَلّى بهم صلاة طويلة مطمئنة يقرأ فيها من طوال المفصل من آيات القرآن ، ثم يقدمهم تباعاً للإمامة ، يدربهم تدريباً ويزرع فيهم الثقة بأنفسهم ، ويضطرهم من بعد للحفظ والتجويد ويتناولون طعاماً مشتركاً ، وأثناء تناول الطعام يذكر لهم ما ورد عن رسول الله ﷺ فى آداب الطعام والشراب .

● ثم يُقَوِّم إياهم بتدريبات رياضية يُذَكِّرهم خلالها بما ورد فى آداب الرمى والسباق والقوة والجهاد .

● ويجلس معهم فى جلسات روحية للذكر والتدبر وتلاوة القرآن تتخللها أحياناً القصص المشوِّقة والحكايات اللَّطيفة – ويغلب فيها التأثر والبكاء من خشية الله أحياناً حتى ترق القلوب .

● ويدعوهم لقيام اللَّيل بالعبادة – فُرادى أو جماعات – ويكون هو أسبقهم لذلك .

● ويدربهم على أساليب الخطابة والدعوة ، مع نقد متبادل للخطباء بعضهم لبعض ، حتى يفك عقدة ألسنتهم ويعطيهم الخطوة الأولى لتصدُّر الجماهير .

وفى هذه اللّقاءات والرحلات يتوفر الحب العميق والتعارف الدقيق ، وتتهذب الطباع ، وتلين القلوب ، وتمتلىء نفوسهم بالذكريات الجميلة ، التى تجعلهم جميعاً يتطلعون للاجتماع القادم – مغالبين كل الأعذار بدلاً من أن ينقطعوا عن الجماعة بانتحال شتّى الأعذار .

– وعرفنا شيخاً فى بلاد الشام – هو الشيخ محمد الحامد – رحمه الله وأحسن مثوبته – إذا رأيته بديهة تظن أنك لقيت واحداً من الصحابة أو التابعين

.. يعيش مع الناس كأنه أدناهم – ويحاول الانبساط معهم وخدمتهم وإدخال السرور والمعونة على جميعهم – لكنه بحقائق نفسه شيء آخر ، كان يحيا مع أهله على الكفاف – لقد آثر أن يكون خطيب مسجد عن أن يكون رئيساً للقضاة . يتعفف عن كثير من المباح ليؤخذ عنه الورع ، سألته مرة أن يرينى نواعير حماة فسار معى حتى إذا أصبحنا على نحو نصف كيلو متر منها أدار ظهره ثم قال : « إنها هناك فإن شئت فاذهب » ثم قال : « أما أنا فدعنى هنا » فتقدمت حتي صرت قريباً منها ورجعت إليه وقلت : « عرفت السبب » قال : « نعم .. الأطفال يستحمون هناك عراة » .

● كان يحدثنا عن وفاة أخيه الأكبر ويُثنى على علمه ودينه وفضله فقيل له : « وكيف أولاده وزوجته » ؟ قال : « تحوّلت بالأمس إلى منزل آخر .. واللّه ما رأيتها خلال ١٢ عاماً وهم يسكنون معى فى نفس المنزل إلا يوم خرجت – وكانت مولية ظهرها وألقت علينا السلام » .

● وكان درسه فى المسجد مليئاً مفيداً شاملاً للتفسير والفقه والأصول والنكتة والأدب والشعر – تحس عنده أنك تلميذ – مهما بلغ علمك ، ولقد كنا فى الحلقة ذات يوم فوقعت فى حجره حمامة وبقيت ساكنة – فبكى رحمه اللّه وقال : « وأين أنا من محمد بن حزم » ؟

ثم حكى لنا أن الإمام محمد بن حزم الأندلسى كان يلقى درسه فى المسجد ذات يوم فجاءت حمامة كان يطاردها صياد ووقعت فى حجره كأنها تحتمى به فقال أحد الشعراء الحاضرين على الفور :

من عَلَّم الورقاء أن محلكم حرم وأنك ملجأ للخائف

– ورد فى « تاريخ الجزائر » أن المندوب السامى الفرنسى كان يقول صراحة : « جئنا لطمس معالم الإسلام » . وحدث أن استدعى شيخاً اسمه « عبد الحميد » وقال له : « إما أن تُقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار وإلا أرسلت جنوداً لقفل المسجد الذى تنفث منه هذه السموم ضدنا وإخماد أصواتكم المنكرة » .

فأجاب الشيخ عبد الحميد بقوله : « أيها المسيو الحاكم .. إنك لا تستطيع ذلك .. » فاستشاط غضباً وقال : « كيف لا أستطيع » ؟ فقال له : « إذا أنا كنت فى عرس علّمتُ المحتفلين – وإذا كنت فى مأتم وعظت المعزين – وإن جلست فى قطار علّمتُ المسافرين – وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين – وإن قتلتمونى التهبت مشاعر المواطنين .. وخير لكم أيها المسيو ألا تتعرضوا للأمة فى دينها ولغتها » .

● وقريب من ذلك ما قاله ابن تيمية رحمه اللّه عندما ساقوه إلى سجن دمشق قال : « إن سجنى خلوة – ونفيى سياحة – وقتلى شهادة » ثم تمثل بقول الشاعر :

إذا اللّه أحيا أمة لن يردها إلى الموت جبار ولا متكبر

– ومن الدعاة ذوى السيرة الحسنة – المُحدِّث البارع عمرو بن عبيد .. من شيوخ البخارى وأبى حنيفة ، سُئِلَ عنه الحسن بن محمد فقال للسائل : « لقد سألتَ عن رجل كأن الملائكة أدَّبته ، إن قام بأمر قعد به – وإن أمر بشىء كان ألزم الناس له . وإن نهى عن شىء كان أترك الناس له . ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن منه ، ولا باطناً أشبه بظاهر منه » .

● دخل عمرو يوماً على أبى جعفر المنصور فى خلافته – وكان صاحبه وصديقه قبل الخلافة – فقرَّبه المنصور وأجلسه ثم قال له : « عظنى » فوعظه بكلام جيد .. فلما أراد النهوض قال له : « قد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم » قال عمرو : لا حاجة لى فيها . قال : لتأخذنها . قال : « واللّه لا آخذها » .

وكان « المهدى » ابن أبى جعفر حاضراً فقال : « يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت » فالتفت عمرو إلى المنصور وقال : « مَن هذا الفتى » ؟ قال : « هو ولى العهد ، ابنى المهدى » فقال : « أما واللّه لقد ألبسته لباساً ما هو من لباس الأبرار ، وسميته باسم ما استحقه » ، ثم التفت إلى المهدى وقال له : « نعم يابن أخى .. إذا حلف أبوك أحنثه عمك ، لأن أباك أقوى على الكفَّارات من عمك »

فقال له المنصور : « هل من حاجة » ؟ فقال : « هى حاجتى » ثم مضى فاتبعه المنصور طرفه وقال :

كلكم يمشى رويد   كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد

– جاء فى كتاب « مفيد العلوم » الخبر التالى :

كان المُحدِّث المعروف سفيان بن عيينة جالساً فجاء إليه ابن أخيه يخطب ابنته – فقال له عمه : « كفء كريم .. اجلس » فجلس فسأله سفيان أن يقرأ عشر آيات من كتاب اللّه قال : « لا أستطيع » فسأله أن يروى عشرة أحاديث شريفة قال : « لا أستطيع » قال : « إذن انشد عشرة أبيات » قال : « لا أستطيع » .

قال له عمه : « علام أضع ابنتى عندك ؟ ومع ذلك لا أخيبنك » . وأمر له بأربعة آلاف درهم .. واعتذر عن مصاهرته .

إن هذا الداعية يوجه ابن أخيه إلى دراسة الآداب والعلوم كما يوجه غيره من الشباب .. ولكنه كان مهذباً رقيقاً فلم يجرح نفسه بأن يرده خائباً فواساه بالمال – وهذا .. من كمال الرأى .

وتاريخ الإسلام ملىء بسير الدعاة الصالحين – رحمهم اللّه وغفر لهم – وإنما نجتزىء بهذا القدر لمناسبة المقام .

* * *

الفصل الخامس

أمُور عَامَّة

- تساؤلات وإجابات .
- إقامة الأحفال .
- معاهد الدعوة .
- صعوبات أمام الدعاة .
- مبشرات .

• تساؤلات وإجابات :

ولا بد أن يتوقع الداعية أنه سيواجه عديداً من التساؤلات .. فيلحذر من الإجابة المتسرعة غير المدروسة ..

وليستشعر المسؤلية الكبيرة أمام اللّٰه وأمام الناس عن أن يقول فى هذا الدين بغير علم ..

وفيما يلى نماذج لطائفة من الأسئلة مع الإجابة عليها .. لكن هذه الإجابة من جانبنا لا تعدو أن تكون رأياً لا يُلزم أحداً ، وهو أحسن ما توصلنا إليه باجتهادنا ، فقد تتغير الظروف والأماكن .. وعندها يكون لكل حادث حديث ، ولكل مقام مقال :

(أ) فأسئلة تختص بالعادات والأحكام الشرعية

ومن ذلك على سبيل المثال :

١ - هل نرسل لحانا عملاً بالسُنَّة أم نحلقها مسايرة للمجتمع ؟

• صح الحديث عن رسول اللّٰه ﷺ : « أحفوا الشوارب وأعفوا اللّحى وخالفوا اليهود » - ومضى عمل السَلَف الصالحين على ذلك منذ صدر الإسلام . ويقسم بعض الفقهاء سُنَن الرسول عليه الصلاة والسلام بأنها إما سُنَن عبادات وإما سُنَن عادات . وتهدف سُنَن العادات إلى اختيار السَمْت الإسلامى والتقاليد

الإسلامية . ومن هنا يؤخذ فى الاعتبار العمل بما هو أنفع للدعوة الإسلامية حسب البيئات والمجتمعات . والمهمات الموكولة للشخص نفسه .. مع التسليم بأن إعفاءها هو الأصل .

٢ - ما هو الزى الإسلامى للرجل والمرأة ؟

● لم يفرض الإسلام زياً مرسوماً للرجل ولا للمرأة . وهذا من جمال الدين ومرونته ، وإنما وضع حدوداً للباس كل منهما وترك لهم أن يبتكروا كما يشاءون فى تلك الحدود ..

فبالنسبة للمرأة : معلوم أن كل بدنها عورة ما عدا الوجه والكفين . ولهذا يحرم عليها أن تلبس « الشفاف » أى ما يشف عن بدنها فيجعله كاسياً عارياً . وأن تلبس « الضيق » الذى يصف البدن ويُبرز مفاتنه . وأن تلبس « القصير » الذى لا يستر بعض الجسم ، وأن تتشبه بملابس الرجال . لما ورد فى ذلك من التحريم [١] .

وبالنسبة للرجل : معلوم أن عورته من السُرَّة إلى الركبة .

فلا يلبس ما يكشف عن العورة أو ما يشف عنها أو ما يصفها ويحددها .

ولا يلبس ثوب الشهرة (الملفت للنظر المخالف للناس) .

ولا يلبس الثياب التى تميز غير المسلمين (كثياب الرهبان واليهود مثلاً) .

ولا يلبس الحرير والذهب (لما ورد فيه من التحريم خاصة) .

ولا يلبس مثل ثياب النساء (للسبب المتقدم) .

ولا يطيل ثيابه بحيث تتدلى على الأرض .

وله بعد ذلك أن يلبس ما شاء .

٣ - هل نقدم المعقول أم المنقول ؟

● إذا صح المنقول عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ وجب الأخذ به دون تردد فليس العقل مصدراً من مصادر الشريعة الإسلامية . إنما هو خادم لها ودليل عليها .

وإتباع ما تحكم به العقول السليمة له مكان فى الشرع الإسلامى عند استبهام الأحكام التى لم يرد فيها نص معلوم . ولكن الإيمان بالله ورسوله وكتابه يقتضى

---

(١) راجع كتاب « حجاب المرأة المسلمة » للشيخ ناصر الدين الألبانى .

التقيد بما أنزله اللّه وفسَّرهُ الرسول ﷺ .. ومن القواعد الأصولية « لا اجتهاد مع النص » .

وحيث قد وقع فى الأحاديث شىء من الوضع والإبهام فعلى العقل أن يمحص ويحقق ، لينفى التعارض ويضع القضية فى نطاقها الصحيح من التشريع .

يقول الإمام محمد عبده : « اتفق أكثر أهل الملة على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذنا بما دل عليه العقل . وبقى لنا فى المنقول طريقان :

أحدهما : التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بعجز العقل عن فهمه وتفويض الأمر إلى اللّه فى عمله .

والثانى : طريق التأويل ، مع المحافظة على قوانين اللُّغة العربية حتى يطابق معناه ما أثبتته اللُّغة .

٤ - ما حكم أخذ الفوائد على الأموال المودعة فى البنوك والشركات ؟

● معلوم أن « كل قرض جر نفعاً فهو ربا » .

والمال فى نظر الإسلام لا يربح بنفسه وإنما بالعمل فيه ، فالأموال المودعة فى البنوك والشركات والتى تُعطَى عليها فوائد وأرباح محددة ، دون مشاركة فى الخسائر ، إنما هى من الربا .

والأصل أن ينشغل المسلمون فى تنمية أموالهم بالتجارة فيها أو المضاربة والمشاركة مع من يستثمرونها بشروط عادلة ولا يكنزونها فى البنوك أو غيرها. خصوصاً وقد كثرت البنوك الإسلامية .

ولكن إذا أودعت أموال فعلاً فى أحد البنوك وأخرج البنك فوائدها - وصارت مجهزة لتعطى لجهات أجنبية - فيقول بعض العلماء بجواز قبولها وتحويلها إلى جهات خيرية دون انتظار الأجر عليها - وبحيث لا تختلط بالمال الخاص مطلقاً ، لأنها رجس ونجس .

* * *

(ب) أسئلة تختص بسياسة الأُمة

ومثل ذلك :

١ - إلى أى حد تكون طاعة أُولى الأمر واجبة ؟

● طاعة ولى الأمر واجبة - بصرف النظر عن جنسه ولونه - ما دام الأمر غير مصادم لأوامر اللّٰه تعالى - وما دام ولى الأمر نفسه قائماً بحق اللّٰه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يُؤمر بمعصية ، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

٢ - يفكر بعض المسلمين فى الهجرة إلى مكان ينطلقون منه إلى الدعوة والجهاد فما حكم ذلك ؟

● لا تسمى هذه هجرة كهجرة النبى ﷺ ولا يُرجَى مثل ثوابها لقوله ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » .

وإنما يتحوَّل المرء من مكان الضيق إلى مكان السِعة ومن مواطن الكبت إلى ديار الحرية - وهذا واجب ويُرجَى عليه الأجـر من اللّٰه ، ويبقـى على الداعية أن يجد مثل هذه الأرض وأن يُقَدِّر عواقب هذا التحول فما غلب فيه الخير فهو خير ، واللّٰه أعلم .

٣ - لقد كثرت الفِرَق التى يَدَّعى كل منها أنه على الحق وأن غيره على الباطل ، فماَ العمل بالنسبة لها ؟

● يقولون : « اعرف ألحق تعرف أهله » - وعليك أن تعرف أركان الإسلام .. فأيما فرقة اشتملت تعاليمها على ما يخالف تلك الأركان فهى فرقة خارجة على الإسلام .

وإذا عرفت مميزات المجتمع المسلم وآدابه وطبيعته منذ عهد السَلَف الصالح إلى الآن أمكنك أن تقيس عليه - فكل جماعة أو فرقة تنكبت هذا السَمْت الكريم فهى منحرفة - يجب التحفظ معها والحذر منها وهذا هو المنهاج الواجب

الاتباع - والعلم نور - وعلى كل مسلم أن يعلم حتى لا يعيش فى الظلام - وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ، فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (١) .

٤ - ما معنى القومية .. وما علاقتها بالدين ؟

● لا تزال فكرة القومية وحدودها غامضة عند كثير من الناس ، حتى عند أولئك الذين ينادون بها .

فإن كانت تعنى الوطنية وحب الأرض التى يعيش عليها قوم من الناس فهي شيء حسن « حب الوطن من الإيمان » ولا بأس أن يحب المرء وطنه الخاص بحيث لا يشغله ذلك عن « وطنه العام » وهو كل أرض تعيش فيها أكثرية مسلمة .. وإن كانت تعنى حب القوم والاعتزاز بالانتماء إليهم - فلا بأس من ذلك أيضاً - دون استعلاء على قوم آخرين أو ظلم لهم - وبشرط أن تُسَخَّر هذه العاطفة لخدمة الفكرة فلا تجانبها ولا تحاربها .

وإن كانت تعنى اللِّسان : فمما لا شك فيه أن اللُّغة وسيلة التفاهم بين الناس ، والعلاقة بهذه الصفة طبيعية لا تحتاج لهتاف بها . أما إذا كانت فلسفة القومية إنما اتخذت ضراراً للدعوة إلى العالَمية أو الإسلامية بحيث تشغل القلوب عنها وتصرفهم عن الهدف الكبير إلى الانعزالية الضيقة .. وإذا اتُّخذَت وسيلة فى الحرب لعزل القُوَى المتعاطفة معنا على مثل قضية بلادنا ومقدساتنا ، أو اتُّخذَت غاية لذاتها فمعلوم أن كل ذلك من التقليد الأعمى والنظر القاصر ، ولا يغيب عن الذهن أن دعوى القومية هى السبب الأول فى إشعال الحرب الكونية الأولى والثانية ، وقد نبذها المستنيرون فى العالَم واتجهوا إلى التجمعات العالَمية ، إما حول المصالح المادية أو المبادىء العالَمية .

٥ - كيف نفهم القرآن الكريم ؟

● إن القلب الإنسانى هو خير مفسر للقرآن الكريم إذا اجتمع له الإلمام بأصول اللُّغة العربية قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٣) .

(١) البقرة : ١٤٨ (٢) القمر : ١٧ (٣) محمد : ٢٤

وهناك سبب قوى يدعونا لمعرفة رأى الأقدمين فى التفسير وذلك لقربهم من عهد النبوّة ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وما أُثِرَ عن رسول الله وصحابته فى فهم بعض الآيات .

ويُحترس فى التفسير من التسليم بالإسرائيليات والخرافات .. وهى كثيرة للأسف فى كتب التفسير - مع التسليم بحسن نية المفسرين وصدق اجتهادهم ، ويُحترز من سوء التأويل - وهو محاولة إخراج الآية عن مفهومها الظاهر إلى مفهوم آخر يخدم غرضاً معيناً .. فمن يعصمنا من عذاب الله إن فسرنا كلام الله على غير مراده ؟

ويُستعان على فهم القرآن بالقرآن - لأن فى الآيات الشريفة من التوافق والانسجام وتأكيد المعانى ما لا يدع مجالاً للحيرة . كما يُستعان بالحديث الشريف ، وهو ترجمان القرآن .

٦ - ما هى حدود التسامح فى الإسلام ؟

● يفهم بعض الناس التسامح على أنه التساهل فى الحق وإرضاء كل صاحب رأى أو بدعة بما يرضيه - وليس الأمر كذلك - فالحق واحد لا يتعدد فى القضية الواحدة - والإسلام يأبى النفاق ويكره المنافقين ، إنما التسامح أن نتحمل عقائد غيرنا - مع قناعتنا بأنها باطلة فى نظرنا - ولا نطعن فيها بما يؤلمهم ، ولا نلجأ للإكراه لصرفهم عنها ، رعاية لعهدهم أو لأحاسيسهم ، ويوجهنا القرآن الكريم لمثل ذلك فى قوله : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاماً ﴾ (١) ، وفى قوله : ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ﴾ (٣) ... وفى قوله : ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِى الْجَاهِلِينَ ﴾ (٤) .

ولكن من الجبن والتفريط التسامح مع الظالمين والمضلين والمرتكبين للكبائر إذا أقدرنا الله عليهم .

---

(١) الفرقان : ٧٢
(٢) الرعد : ٢٢ ، القصص : ٥٤
(٣) الشورى : ١٥
(٤) القصص : ٥٥

٧ – ما مدى نشاط المرأة فى الدولة الإسلامية ؟

● تقرر الإحصاءات أن جهد المرأة لا يتجاوز ٥٥٪ من جهد الرجل ، ولدى المرأة ميدان واسع كبير الأهمية وهو البيت – البيت هو مصنع الذُّرِّية والمدرسة الأولى وسكن الحياة ومركز العاطفة ومدخر الإنتاج ، لكن الإسلام لم يحرم المرأة حقها فى البيع والشراء (إذا احتاجت لذلك) وحقها فى طلب العلم (دون خلوة ولا اختلاط) وحقها فى الجهاد دون خلوة ، ولتمارس الأعمال التى تناسب ضعفها وفطرتها كخدمة الجرحى وسقى الماء وإعداد الطعام (وليس للترفيه عن الجنود) . وكل هذه الضرورات تقدر بقدرها فقط .

أما أن تُقحم المرأة فى سياسة الدولة فهى أضعف من احتمال الصراع وكتمان السر أو فى مراكز الإدارة الحكومية – فهى تخضع للعاطفة وتُخدع بسهولة – وقد أثبتت الإحصاءات فى البلاد التى استخدمتهن لذلك أن التجربة كانت فاشلة وأن إنتاجهن دون المتوسط بكثير . فقد تعطل الرجال وتعطلت بهن الأعمال .

أما الذين يُشغلوننا بهذه السفاسف باسم حرية المرأة ، فأهدافهم معروفة مكشوفة ، وهى تتلخص فى إشاعة الميوعة وجر المرأة من بيتها إلى الشارع والترويج للبضائع الأجنبية ، وعندهم من المآسى فى هذه التجربة ومن الفضائح ما استفاض العلم به فى العالمين . وصدق الله إذ يقول :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾ (١) .

* * *

(١) النساء : ٢٦ – ٢٨

(جـ) وأسئلة تتصل بصنعة الدعوة

ومن ذلك .

١ - هل نجامل الناس أم نصارحهم ؟

● الواقع أنه سؤال لا يُجاب عليه بـ « نعم » أو بـ « لا » مرة واحدة ، فالأفضل فى الداعية أن يقول الحق ولا يخاف فى اللّٰه لومة لائم ، وإنما حدث فى عهد الرسول ﷺ والمهديين من بعده أن جومل ناس لمصلحة الدعوة ذاتها ، على أساس أن يتشربوا الحق على مراحل .. أو أنهم يحتاجون لمقدمة من العطف والرعاية وحسن الصحبة .. تزيل الجفوة من قلوبهم ، أو الفهم المسبق الخاطىء من أذهانهم . فلينظر الداعية للمصلحة التى يرجوها لخدمة الدعوة أولاً .. ثم يحتال لها .

والداعية الذى تميز بالصراحة والجرأة فى الحق ، له أثر ، وله وزن .. ويهدى اللّٰه به خلقاً كثيراً .. خصوصاً إذا تعلق الأمر بالكبراء والحكام . والداعية الذى تميز بالحيلة والحلم وسعة الصدر ، ربما يكون كبير النفع كذلك .. ينجذب إليه الناس ويتأثرون به ، خصوصاً فى أوساط العمال والتلاميذ وعامة الناس .

إذن فالمسألة تُقَدَّر حسب ظروفها - مع التسليم بالأصل الثابت وهوأن تبليغ الحق فريضة على مَن يعرفه - إن عاجلاً أو آجلاً .

٢ - هل الأجدى على الجماعات الإسلامية أن تنشىء مؤسسات وعقارات لصالح الدعوة أو أن يتخففوا من ذلك وينفقوا على الحركة ذاتها ؟

● الأصل فى الجمعيات الخيرية أن تقوم بأعمال البر والخدمات ، ومن هذه الزاوية فمن الخير لها أن تستثمر المال وتبنى لها المراكز التى تسهل مهمتها وتنطلق منها لأهدافها الإنسانية .. لأن من طبيعتها تعمير الأرض .

والأصل فى جمعيات الدعوة والإرشاد أنها فى حركة دائبة ، وأنها مُعرَّضة للاضطهاد فى غالب الاحتمالات ، لذلك كان إنشغالها بتثمير المال وإنشاء العقارات فى غير صالحها ، بل يجب أن تنفق على شئون الحركة والأسفار ونشر العلم وتزويد الدعاة بما يُصلحهم . لأن من طبيعتها أن تتعامل مع العقول والقلوب .

٣ - هل نبدأ بتقويم الأخلاق أم بما يصادفنا ؟

● **من الواجب على كل مَن يريد عملاً أن يرسم الخطة التى يسير عليها من بعد .**

فالداعية يعرف غايته ووسيلته لتحقيق هذه الغاية .. ولكنه مكلّف أن يأمر بالمعروف كلما وجد إليه سبيلاً ، وأن ينهى عن المنكر كلما صادفه المنكر .

فإذا أمرت إنساناً بمعروف أو جئت تنهى عن منكر فليس لأحد أن يعترض أو يقول : « انتظروا حتى تنصلح الأخلاق العامة » .. فذلك خطأ ومراوغة للأسباب الآتية :

(أ) أن إصلاح الأخلاق العامة أمر يستنفد الأعمار والأجيال ولا تُدرَى عواقبه .

(ب) أن ترك الأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر ساعة وقوعه ذنب ومخالفة شرعية لقوله عليه الصلاة السلام : « مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده .. » ..... الحديث .

(جـ) أن عملية المنكر داخلة فى خطة كل داعية وإن تراخى تنفيذها فهى من صميم عمله لقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [١] .

والذين يقيمون دعوى الأخلاقية إنما يتوسلون بذلك إلى الهروب من المسئولية .

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

٤ - ماذا نفعل إذا كان تأثر أهلينا وأبنائنا بالمجتمع أكبر من تأثرهم بنا ؟

● صحيح أن الأبناء يتأثرون بالبيئات التى يعيشون فيها تأثراً كبيراً ، فلو كان لرجل ثلاثة أبناء ، أحدهم بالأزهر والثانى بمدرسة أجنبية والثالث بجامعة مثلاً ، لرأيت بينهم من التفاوت فى الثقافة والعادات مثل ما بين هذه الجامعات .

ولكن لو افترضنا أن والدهم كان دائم اللّقاء بهم مع مناقشتهم وتصحيح مفاهيمهم وإحداث التقارب بينهم ، لأصبحت فجوة الخلاف أضيق أو لزالت تماماً .

يظل سلطان البيت أقوى وأمكن ، ما دام رباط الأسرة قائماً وقوياً ، أما إذا حصل التفكك الأسرى أو الإهمال والضياع فى جو الأسرة - لا قدّر اللّه - فربما يستسلم الشاب للمؤثرات الخارجية .

ومما يساعد على تقويم تلك الميول الشاردة بعد وقوعها :

(أ) ترشيح الزمالة الصالحة للأبناء وتوصيتهم بعلاج تلك الحالة .

(ب) المناقشة الهادئة بقصد الإرشاد - دون تعنيف ولا إهانة .

(جـ) علاج المشكلة من أساسها ، إذ أمكن معرفة أسباب الانحراف .

وأخيراً نوصى بالالتجاء إلى اللّه تعالى ، الذى بيده مقاليد القلوب .

* * *

(د) قضايا متأثرة بالأفكار الغربية

١ - التدين فضائل لا طقوس :

● هذا زعم الكسالى والمترفين الذين لا يريدون أن يقوموا بطاعة من الطاعات التى فرضها اللّه ، ويترتب على الأخذ بهذا القول أن تُهدر فرائض الإسلام من صوم وصلاة وزكاة وحج وجهاد ، وهو لا شك من الزندقة والكفر الصريح .

إن الإسلام إيمان وعمل ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ (١) فهو اعتقاد بصحة ما حددته الشريعة . ثم ممارسة لأنواع من الطاعات والقُربات ، ولا يجوز تحويله لنظريات فلسفية ذهنية لا يربطها ولاء ولا يثبتها عمل ، كما أن تعبير « الطقوس » غريب عنا ، فنحن لا نمارس « طقوساً » غامضة بل نؤدى عبادة مفهومة – للّه لا لسواه – ثم إن عبادات الإسلام معقولة يقبلها كل ذى فهم سليم ويشفى بها كل قلب سقيم .

٢ – كان الجهاد الإسلامى للدفاع ثم توقف :

● لا .. لم يكن الجهاد للدفاع ، بل لنشر كلمة اللّه بين أولئك الذين رفضوا قبولها وحاربوا حرية الرأى ، ولكنه يختلف عن حروب الاعتداء والتوسع ، فقد كان الكفار يُخيَّرون بين أمور ثلاثة : « الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال » وهذا مشروع بنص الآية الكريمة : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾ (٢) .

إن الجندى المسلم مجند لحساب دعوة اللّه ، وهو يعتقد أنه بهذه الصفة مُكَلَّف بأن يقاتل كل من رفض فكرة الألُوهية حتى يُذعن لها – وهذا التكليف قائم ومفروض على المسلمين إلى يوم القيامة (لا يرده جور جائر ولا عدل عادل) – فما بالك إذا حورب الإسلام وديست أرضه ومقدساته ؟ ولم يقل أحد من المسلمين بتوقف الجهاد عبر العصور حتى كانت النحلة المعروفة فى الهند من « مدعى الإسلام » وقد روَّجوا لهذه الفكرة الخبيثة خدمة لأسيادهم من المستعمرين .. وإن مئات الآيات من كتاب اللّه صريحة واضحة فى رد هذا الزعم وإبطاله .

٣ – الظاهر والباطن :

● يزعم فريق من الصوفية والباطنية أن هذا الدين له وجهان – وجه قليل الأهمية (وهو المشتمل للتكاليف الشرعية وأحكام الفقه والقواعد الإسلامية العامة)

---

(١) البقرة : ٨٢ بلفظ ﴿ وَالَّذِينَ ... ﴾

(٢) الأنفال : ٣٩

ووجه باطن خفى وهو المهم (وهو سرى لا يعلمه إلا القليل ، لا يرتبط إلا بالعطاء الإلهى فى زعمهم الارتباط بنسب معين أو وسائط معينة) وقد أدى ذلك إلى إحداث اضطراب فى موازين الحق والباطل لدى كثير من المسلمين - وأدى كذلك إلى ضلال كبير ، فادعى بعض قادتهم النبوّة والألوهية بزعم أن الله أوحى إليه ، أو أن روح الله حلّت فيه ، وتحلل أتباعهم من الواجبات الدينيه بل والأخلاقية إستناداً إلى بعض الرؤى والمنامات والأحلام التى يراها أحدهم أو تُرَى له مما يؤكد لديهم الغرور ، ويتوهم كل منهم أنه من الواصلين المقربين - ثم يُصَدِّق هذا الوهم وينشره بين الأتباع ليتداولوه كحقيقة لا يرقى إليها الشك - وربما تُؤلَّف فيها الكتب والمجلدات ويحلف على صدقها الحالفون .

والله تعالى يقول فى حق هؤلاء وأمثالهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، بَلِ اللَّهُ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً * انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ ، وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِيناً ﴾ (١) .

والحق أن الإسلام له وجه واحد ، وأن الله ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِـنُ ﴾ (٢) ، وأن رسول الله ﷺ أدى الأمانة معلنة للكافة على حد سواء ، فلم يخف منها شيئاً ، وأن الله تعالى علّمنا أنه ليس بينه وبين أحد من الناس نسب ، ولا يُنَال رضاه إلا بطاعته ، ولا يُطاع إلا بما شرعه .

٤ - الواسطة والشفاعة :

● ويزعم فريق آخر أنه لا خوف عليهم فسوف تنالهم شفاعة النبى أو الولى .. ولهم أن يفعلوا ما يشاءون استناداً إلى هذا الاعتقاد .

وواضح ما فى هذا المنطق من فساد ومناقضة لآيات الله حيث يقول : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ (٣) ، ويقول : ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِه مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ (٤) .

---

(١) النساء : ٤٩ - ٥٠ .
(٢) الحديد : ٣
(٣) البقرة : ٢٥٥
(٤) الأنبياء : ٢٨ - ٢٩

فلا يتجرأ أحد أن يتقدم لله فى الشفاعة لعاص من العصاة أو منافق من المنافقين ، وللشفاعة آداب وشروط ، والاعتماد عليها استناد إلى وهم كبير ، ونحن نقرأ قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ (١) .

إن التوسع فى تفسير الوسيلة والشفاعة يهدم كل موازين العدل ومقاييس المسئولية والجزاء التى تميّز بها الإسلام : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

٥ – لا نعترف إلا بما جاء فى القرآن الكريم :

● وهذا مدخل آخر من مداخل الشر أو من دلائل الجهل .. أما أنه من مداخل الشر – فلأنه يهدر الجزء الثانى من الشهادة ويجعل محمداً ﷺ ليس رسول الله – ويقضى على السُنَّة المطهرة وهى التى تُفَسِّر الكتاب الكريم وتُفَصِّله ..

وأما أنه من الجهل – فلأن الإيمان بالقرآن وما جاء فيه يقتضى بالضرورة الإيمان برسوله ﷺ ، ألا يكفينا قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ ﴾ (٤) .

لكن إذا كان بعض المجرمين قد دس على رسول الله ﷺ ما لم يقله ، أو كان بعض الواهمين قد روى رواية غير دقيقة فقد هيأ الله لعلوم الحديث مَن قام بتحقيقها ونفى الزائف منها وانتهت هذه المشكلة ، واليوم يستطيع كل مسلم أن يعرف الصحيح من غيره .

ولا يكون علاج السُنَّة باستبعادها من واقعنا – كما يقول هؤلاء – وإنما يكون بخدمتها ونفى الكذب عنها .. إن كانوا صادقين .

---

(١) الزلزلة : ٧ – ٨
(٢) التوبة : ١٠٥
(٣) الحشر : ٧
(٤) النجم : ٣

٦ - الاقتصاد هو أصل المشاكل البشرية :

● لا .. ليس ذلك صحيحاً على إطلاقه ، فالإنسان جسم وروح .. ولكل منهما متطلباته ، وهذا الجسم وعاء سريع الفناء .. والروح تهيمن عليه ولا يحيا إلا بها - وهى باقية قبل الجسم وبعده - وحاجة الروح تتمثل فى الإيمان بمن خلقها وأبدعها وخلق الجسم لها - وتتمثل فى التعرف عليه والاستناد إليه وطلب العون منه ثم الإيمان والرضا فى النهاية .

قد يسعد الجسم بكل أنواع الرفاهية ، ولكن شقاء الروح يشقيه ويُسقمه ويُمرضه حتى يفنى .

وليست الحياة مجرد مادة ، وإلا ذهب التميز بين الإنسان والحيوان .. وحتى الحيوان له حنين روحى لولده وزوجه ، وبعض الحيوانات يصوم حتى الموت حزناً على رفيقه أو أليفه ، وقصة الفلسفة المادية الجدلية إنما اخترعها قوم ليتوصّلوا بها إلى إنكار الأُلوهية . ثم إنكار القيم الإنسانية ، ثم ارتكاب الجرائم التى توصلهم إلى السلطة فى النهاية .

* * *

هذه التساؤلات - وعشرات من أمثالها - تواجه العامة والخاصة وتثور فى أوقات معينة - بحيث تشتد الحاجة لمعرفة الجواب عليها ..

والجواب عليها ليس سهلاً ، وليس جواباً واحداً فى كل الأحوال ولا فى كل الأماكن ..

إن على الداعية أن يسأل المختصين عما لا يعلم .

وأن يقف متريثاً حين لا يعلم .

ولا بأس على معلم الناس أن يتعلم منهم .. فالحياة أخذ وعطاء والله تعالى يقول : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

* * *

---

(١) الأنبياء : ٧

إقامة الاحتفالات

ولا بد للداعية من الإلمام بفنون تجميع الجماهير بتوجيه الدعوات وتنظيم الحفلات والتجمعات والتحضير للمؤتمرات ونحو ذلك .

وهو باب واسع تحكمه اعتبارات عديدة وأعراف مختلفة ، بعضها عام دولى ، وبعضها الآخر محلى أو بيئى .

ونود أن نشير فى هذه العجالة إلى بعض الملاحظات الهامة التى تتصل بإقامة الأحفال ومن ذلك :

(أ) نوع الدعوة : تكون الدعوة إما خاصة (بمعنى أن يحدد أولئك الذين يُدْعَون إليها تحديداً) وإما عامة (فيباح الدخول فيها لمن يريد) .

فالدعوة الخاصة : تكون فى العادة لطائفة معينة يُختارون بعناية – لتتم بهم مصلحة ما – ويُراعَى حصول التجانس والتقارب بينهم حتى تكون الدعوة ناجحة ، والأفكار سليمة من التناقضات . وغالباً ما يكون فيها التشاور وتبادل الرأى .

والدعوة العامة : تكون مقصودة لإعلام أكبر عدد ممكن بخبر أو شىء معين .. وتكون مهمة إدارة الحديث موكولة لأصحاب الدعوة (دون المدعوين إليها) لأن فتح باب المشورة والمناقشة مع هذا الخليط من الناس لا يؤدى إلى نتيجة وقد لا تُحمد عقباه .

(ب) الإعلان عن الدعوة : يتم الإعلان عنها بوسائل عديدة منها النشر فى الصحف والإذاعة والتليفزيون ، وبتوزيع الإعلانات .. وبالحديث فى المساجد والمجتمعات ، وبالكلام من مذياع فى سيارة .. وأخيراً بتوجيه الدعوات الخاصة .

* * *

بطاقة الدعوة الخاصة

(أ) شكلها : يحسن أن تكون أنيقة على ورق مقوى إذا أمكن وأن تحمل اسم المدعو وعنوانه . ومكان الدعوة وزمانها . وسببها وموضوعها . وتاريخ توجيهها . واسم المسئول عنها .

وقد تضاف ملاحظات إضافية كالإشارة إلى وضع الأطفال والسيدات .. ومدة الاجتماع .. إلخ .

(ب) توزيعها : توزع عادة فى البريد بحيث تصل لأصحابها قبل أسبوع من موعد الاجتماع على الأقل .. وقد توزع باليد بالنسبة لحالات معينة أو مستعجلة .

ويحسن أن يؤكد الموعد بالاتصال التليفونى مع الشخصيات التى يُحرص على وجودها بصفة خاصة .

ويلاحظ المسئول عن التوزيع أن يكون مستعداً لإيضاح الجواب عند فقدان البطاقة أو عند حصول العتاب .

(جـ) مكان الحفل : يُختار مكان الاجتماع فى موقع متوسط من المدينة أو القرية ، وأن يكون نظيفاً فسيحاً مغطى (إذا استدعت الأحوال الجوية ذلك) - وأن يكون الوصول إليه سهلاً - ويُتفادى وجوده بجوار أماكن الضوضاء والدخان ، ويُتفادى أن يكون عليه طابع حزبى مما ينفر بعض المدعوين من الدخول إليه .

ويُرتّب المكان ترتيباً خاصاً يسهل الحركة فى داخله أثناء الاجتماع ، وأن تكون التهوية فيه جيدة ودرجة الحرارة مقبولة كذلك .

(د) خدمة الحفل : أول ما يُحْرَص عليه وجود لجنة فنية تكون مسئولة عن

تنظيم الشئون المتصلة بالكلام (ولنسمها سكرتيرية الحفل) تقوم بإعداد البرامج وتحديد عدد المتكلمين والوقت المخصص لكل منهم .

وتكون حلقة الاتصال بين السامعين والمتكلمين فى حالة المناقشات والأسئلة والأجوبة ، أو فى حالة توزيع النشرات والبيانات وتدوين الأسماء ونحو ذلك .

ويخصص ناس لتقديم الماء أو المرطبات وتقديم الخدمات الأخرى لمن يحتاج إليها .

ويتصل بذلك رعاية الحفل من الداخل والخارج بكل سبيل ، ومراقبة الصوت - شدة وضعفاً - والتوصيلات الكهربائية وإبعاد الأطفال والمتطفلين وأنواع الأذى عن المجتمعين .

(هـ) ما بعد الحفل : ولما كانت إقامة الأحفال من المجهودات الكبيرة وجب أن يُحْرَص على الاستفادة منها ، لأن هذه التجمعات إنما هى وسيلة لشىء آخر ولذلك نوصى بما يلى :

- مجاملة ذوى النباهة والمكانة من الذين حضروا الاجتماع وشكرهم وتوديعهم وسؤالهم عما يريدون قوله .
- الاتصال بمن يُرجى منهم الخير للدعوة فى الأيام التالية لتأكيد التعارف والاستماع إلى ملاحظاتهم وتقديم بعض الكتب والمجلات إليهم .
- الاتصال بكل الذين أسهموا فى إنجاح الحفل من العمال وتجار وجيران لشكرهم ، فإن العرفان بالجميل يساعد على استمراره .
- الاجتماع بالزملاء والخطباء وأصحاب الحفل أنفسهم لمراجعة ما تم إنجازه وتقبل النقد المتبادل للاستفادة به فى المستقبل .

ولا يغيب عن الذهن : أن حفل اليوم سيؤثر فى حفل الغد - نجاحاً أو فشلاً - و « إن اللّه يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقنه » .

* * *

معاهد الدعوة

لقد قامت بحمد الله – جملة صالحة من معاهد التدريب على نشر الدعوة فى أماكن كثيرة من بلاد الإسلام .

وهى ولا شك تؤدى خدمات جليلة وتقوم بدور فعّال فى تنشئة جيل من العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية .

ونعتقد أن مما يزيد فى نفعها وأهميتها أن تتوفر لها الأمور الآتية :

١ – أن يقوم بينها تعاون مثمر أو تبعية فنية ملزمة تحت إشراف إحدى الجامعات التى قطعت فى هذا السبيل شوطاً أكبر بإعداد أفضل .

٢ – أن تزوَّد هذه المعاهد بوسائل جديدة ومكتملة تُضفى عليها الهيبة العلمية فلا تكون شيئاً على جانب الحياة يُنال من بقايا الاعتمادات المالية أحياناً ويُحرم منها أحياناً .

٣ – ألا يعمل فيها المدرسون لمجرد أنهم حملة شهادات عالية أو أنهم من أتباع مذهب معين . بل لأنهم علماء صالحون ودعاة عاملون ، لهم قدرة وشغف بهذا الفن ، مع خبرة وعلم ، كما كان الدعاة فى الصدر الأول .

٤ – أن تنشأ حركة رحلات متبادلة بين طلبة تلك المعاهد للتعرف على الوطن الإسلامى الكبير والتدريب على الدعوة فيه .. حتى تتسع آفاقهم ويشعروا بكرامتهم ﴿ وَلِيُنْذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ ﴾ (١) .

٥ – أن تنصفهم الدولة مالياً بعد التخرج ، كما عملت بعض البلاد أخيراً . فيكون إمام المسجد المؤهل فى القرية مرتبه مساوياً لزميله فى الجامعة سواءً بسواء .

بهذا تسرى فى الأُمة روح جديدة تكشف بعض ما ران عليها من ظلام وافد . ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) التوبة : ١٢٢ (٢) الأحزاب : ٤

صعوبات أمام الدعاة

تواجه الدعاة الإسلاميين فى الوقت الحاضر صعوبات داخلية وأخرى خارجية .

أما الصعوبات الداخلية : فنعنى بها تلك التى توجد فى المجتمعات الإسلامية ذاتها والتى نشأت خلال أزمان طويلة بسبب الفُرقة والتخلف والاستعمار والتى منها :

● نشوء الفرق الإسلامية مع الانقسام والتعصب والتحزب لها ، مما جعل أهل الحق يعدون قسماً من هذه الأقسام برغم كثرتهم وسلامة منهاجهم .

● ومنها التعصب للمذاهب والأئمة داخل نطاق تلك الجماعات وقد يكون الخلاف يسيراً جداً .

● ومنها الاستسلام لآراء المشايخ والرؤساء الروحيين والاستغناء بآرائهم أحياناً عن المصادر الأصيلة من الكتاب والسُنّة ، مع أن رسول الله ﷺ يقول : « تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسُنَتى » .

● ومنها انقياد بعض المسلمين للآراء والمبادىء المستوردة واتخاذها ديناً أو فى مكان الدين ، برغم ما يبدو للعيان من فسادها نظرياً وبرغم ما جرّته على معتنقيها من دمار وأضرار فى التطبيق العملى .

ومن الصعوبات التى تواجه الدعاة أنهم يعملون عادة فى حقل تعليم الكبار .

● وكثير من الكبار يجدون حرجاً فى العودة إلى التعليم ، لأنه فى نظرهم مظهر من مظاهر الطفولة ، كما أن كثيرين منهم يتحاشون الدخول فى مناقشة مع الآخرين لاستكمال المعرفة خشية أن يُوصَموا بالجهل .

وكثير من النساء يترددن على الأندية للتسلى أو لعرض الزينة واقتباسها من الأخريات ، أكثر من رغبتهن فى التعلم الحقيقى .

● وكثير من الدعاة لا يدرك الفرق بين التوجيه المباشر والطريقة الإلقائية المستمرة فى التعليم للكبار ، وبين تعاون الأعضاء على اكتساب ثقافة معينة كوسيلة للنهوض بالمجتمع فالطريقة الأولى لا تخلو من عيوب بينما الثانية هى الأمثل عند جمهور المربين .

– ومن أمثلة التخلف :

● شيوع الجهل فى بلدان كثيرة .. لدرجة فقدان حاسة التمييز بين الطيب والخبيث ، وبين النافع والضار ولدرجة أن أحدهم لا يملك الشجاعة فى أن يبحث عن الحقيقة إما خضوعاً لشيخ وإما خوفاً من سلطان .

● ومن ذلك شيوع الجهل بقواعد الصحة والنظافة والمعاشرة أحياناً .

● ومن ذلك انتشار الفقر المدقع ، الذى يجعل الداعية يستحى من أن يقول شيئاً لهؤلاء المساكين حين يرى أن حاجتهم إلى اللُّقمة أولى من حاجتهم إلى الكلمة .

– ومن آثار الاستعمار :

● التحزب وسهولة قيام الخصومات بين أفراد الأمة والتطاحن على الحكم والسلطة واستنفاد الطاقة العسكرية والبطولية فى ذلك .

● ومنها الاستهانة بالدين وأهله ونبذ فكرة التدين والاستسلام لمادية الحياة وعزل الدين عن الدولة .

● ومنها الإعجاب بكل ما هو أجنبى من فكر وتجارة أو أشخاص .

● ومنها الضعف العسكرى واستبعاد فكرة الجهاد لإعلاء كلمة الله وتريبف التاريخ وملئه بالمغالطات والهجوم على تراثنا المجيد .

● ومنها الضعف الاقتصادى عندما سلبت معظم الميزات والموارد من أهل الوطن واستولى عليها أعداؤه ولقد تجمعت رواسب هذا الواقع الأليم فى مجتمعاتنا ، حتى صارت مهمة المصلحين والدعاة من الأمور الشديدة التعقيد .

- وأما الصعوبات الخارجية :

فهى كثيرة أيضاً ومنها :

● أن المعارك التى دارت بين المسلمين وخصومهم فى العصور الماضية أنشأت لدى أُولئك الخصوم شعوراً قوياً بالخوف من أية نهضة دينية تقوم فى ديار الإسلام .

وهم يربطون ربطاً قوياً بين صدق التدين وبين الغلبة العسكرية التى يحسبون لها ألف حساب .

لذلك كانت خطتهم - ولا تزال - تقوم على كبت أنفاس الدعاة وتزييف هذا الدين عند أهله وشن الحرب عليه علمياً وعملياً كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

● ومنها أن كلا المعسكرين الشرقى والغربى ، يرون أن تمسك هذا الشرق بإسلامه يضر بمصالحهم التجارية ضرراً بليغاً وهذا حق ، فلو تمسك المسلمون مثلا بقوله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ (١) . لأقفلت آلاف البنوك أبوابها هنا ، ولو تمسكوا بقوله تعالى للنساء : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ (٢) لأقفلت آلاف المصانع والمتاجر هناك .

● ومنها - أن شبابنا وعلماءنا لا يزالون يرون فى جامعات البلاد الأجنبية المصدر الأعلى لاستكمال الدرجات العلمية ، ولا بأس باقتباس العلم منهم ، دون الثقافة ، فلئن كنا فى حاجة لعلومهم ، فإن لدينا من التراث الحضارى والغنى الثقافى ما يجعلنا نعطى ولا نأخذ ، لكن الذى يحدث فعلاً أنهم يؤثرون فى طلبة العلم من أبنائنا ويدسون ثقافتهم المسمومة فى مناهج العلوم ، فيعود أكثر هؤلاء وقد تأثروا بالغربيين أو بالشرقيين ، بأفكار مغلوطة تضاعف من مشاكل هذه الأُمم المسكينة .

---

(١) البقرة : ٢٧٦ (٢) الأحزاب : ٣٣

وقضية هذه الطبقة من المستغربين من أصعب القضايا ، فنحن وإياهم كما قال الشاعر :

تخذتكُمُ درعاً حصيناً لتدفعوا نبال العِدا عنى فكنتم نصالها

ويدرك الدعاة إلى الإسلام أنهم لم يأخذوا على الله عهداً بإعادة مجد الإسلام على أيديهم خاصة . إذ لا ينبغى ذلك لولى ولا لنبى .. ومن قبل قال الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِى الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

يدركون ذلك تماماً ، ويعلمون أنه لا يزيد من مكانتهم أن يهتدى المهتدون ، ولا ينقص منها عند الله أن يستعلى عليهم الظالمون ، إنما هم يؤدون واجبهم طاعة لله وحسب .

* * *

(١) النحل : ٣٧

(٢) يونس : ٩٩

مُبَشّرات

ومن خلال هذه الظلمات .. تتراءى لنا أنوار النصر وبشريات الأمل الكبير .

● فمن العوامل المشجعة للدعاة .. انتشار الوعى المتحرر فى العالم بانتشار التعليم .. فالعلم نور وهداية ، لأن الشأن فيه أنه يُنضج العقل والفطرة ، فلا يلبث هذا العقل أن يتجول باحثاً عن الحقيقة فى أكثر الأحوال .

ومن هنا يمكن أن يلتقى حملة دعوة الحق مع أُولئك الذين يلتمسونها ويبحثون عنها بصدق وحياد .

● ومنها .. ذلك الفشل الذريع الذى منيت به أكثر الحضارات القائمة على تقديس المادة وإهمال الروح ، مما جعل كثيراً من العقلاء يخاصمون فكرة المادية ويبحثون عن شىء آخر يجدون فيه ذواتهم الضائعة ، فلم يعودوا يقبلون أن يعيشوا كالحيوان – طعام وشهوة – أو كالآلة الصمّاء – عمل وإحصاء – وإنما يريدون الآدمية بمعناها الصحيح . وهم على استعداد للفهم والتفاهم مع الذين يدلونهم على الطريق الذى يجمع بين تنمية المادة وإشباع الروح .

● ومنها .. هذا التطاحن القائم بين القوى الجبارة ، والذى يجعل الله من خلاله دائماً للمستضعفين فرجاً ومخرجاً ، مصداق قوله تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ ﴾ (١) .

● ومنها .. انحسار المد الاستعمارى ، فقد زال كابوس الاحتلال والاستعمار عن الأوطان العربية والإسلامية – بفضل الله وحده – وعادت لنا ثرواتنا وحريتنا . وتراجع الظالمون الأجانب إلى الوراء ، وكانوا عقبة فى سبيل النهضة كأداء والدعوات لا تعيش إلا فى أجواء الحرية .

---

(١) البقرة : ٢٥١

وحبذا لو أفسح الحكام الوطنيون – فى بعض البلاد – لإخوانهم فى حرية القول والعمل – ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ (١) .

● ومنها .. الاهتمام الرسمى بأمر الدعوة ، فقد اتجهت بعض الدول الإسلامية إلى نشر الدعوة بوسائل عديدة كطبع الكتب النافعة ، وتربية الدعاة ، وإيفادهم إلى شتَّى أقطار الأرض لنشر دعوة الهدى ، والنور وعقد المؤتمرات العالمية وإنشاء المؤسسات التى تخدم رسالة الإسلام بشكل عدم ورصد الأموال لهذه الغاية ، وهو أمر يبشر بخير .

* * *

كلمة ختامية

وليعلم كل داعية وكل مسلم صادق ، أن علمه بالأشياء والأسماء ، وأن التوفيق للعمل فى مثل هذا الميدان الكريم ، لم يتوفر لهم عن طول درس وتعلم ، ولا عن وفرة ذكاء وفطنة ، إنما هو بمجاهدة النفس عن شهواتها والتزام الورع والخشية لله سبحانه وتعالى فى السر والعلن ، والرغبة فيما أعده الله للطائعين من عباده ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

* * *

« تم الكتاب بحمد الله »

(١) الروم : ٤ – ٥

(٢) التغابن : ١١

محتويات الكتاب

الصفحة

الفصل الثالث : الدعوة بالتدوين
(٥٧ - ٨٢)

الفصل الرابع : الدعوة بالقدوة
(٨٣ - ١٠٠)

الفصل الخامس : أمور عامة
(١٠١ - ١٢٤)

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٥٦٦ / ١٩٩٠
الترقيم الدولي : ٣ / ٢١١ / ٣٠٧ / ٩٧٧